أيقونة التجسُّد والصليب

«وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٤ – ١٦).

[رَسْم بالذهب والألوان مُحاطًا ببرواز مُذهَّب، في مخطوطة للتوراة محفوظة في المكتبة البطريركية. وهذا الرسم يُعبِّر عن موسى النبي أمام العُلَّيقة المشتعلة، وهي رمزٌ لاتِّحاد اللَّاهوت بالناسوت في التجسُّد الإلهي. وأعلى العُلَّيقة تظهر أيقونة الثيئوتوكس – العذراء والدة الإله. ومن أسفل مرسوم الحيَّة النحاسية المذكورة في سِفْر العدد (٢١: ٨)، وهي رمزٌ لصليب ربنا يسوع المسيح]

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٩ مارس ٢٠٢٥م.

العدد ٦٦٢ أمشير / برمهات ١٧٤١ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«صَلُّوا كلَّ حينٍ» (٢) ١

مقال للأب متى المسكين:

توبة الخاطئ وفرح الله – الابن الضال ٦

من أقوال الآباء:

النبي الهارب والشعب التائب (٢) ١٢

بمناسبة الصوم المقدَّس: قصَّة الحبِّ العجيب ١٧

بمناسبة تذكار الصليب المقدَّس:

لماذا نُعيِّد للصليب؟ ٢٢

ادخل إلى العمق (٥٠):

دمُ المسيح: كأس الخلاص، وهِبَة الحياة ٢٦

دراسات كتابيَّة: «دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (٢) ٣٠

من التراث الكنسي: معرفة الله (١٧) ٣٥

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيس أبي السيفين في مصر (١) ٤٠

تقديم كتاب: لماذا أنا لستُ مُلحِدًا؟ ٤٥

حول العالم: أخبار متنوعة ٤٧

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 50 - 51 ..... ٥٢

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم

السَّامريَّة الحَارَّة بالروح

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[قال المسيح مرة:
«مَنْ لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقُّني»،
ومرة أخرى: «جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ
فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟»
فبهذين القولين أراد أن يضع أمامنا
(مثال) التلميذ المُلتهب والمُشتعل بالنار،
الذي يتجاوز كافة المصاعب.
فمِن هذا النوع كانت هذه المرأة (السَّامرية).
لأنها اضطرمَت هكذا بما قاله (المسيح)،
حتَّى إنَّها تركَت جَرَّتَها، وركضَت إلى المدينة
لتجذب كلَّ الجموع إلى يسوع،
وقالت: «تعالَوا وانظروا إنسانًا قال لي كلَّ ما فعلتُ».
لقد جاءت لتستقي ماءً،
لكنَّها لمَّا ظَفَرَت بالينبوع الحقيقيّ،
ازدرَت بالينبوع المادي.
فبأقصى قدرتها عَمِلَت ما عَمِله الرُّسُل،
بل وأعظم، لأنَّ أولئك لمَّا دُعُوا تركوا الشِّبَاك؛
أمَّا هي فمن ذاتها، من دون أن يوصيها أحد،
تركَت جرَّتَها، وعَمِلَت عمل المُبشِّر،
وقد أنبت الفرح لها أجنحةً].

(عظة ٣٤ على شرح إنجيل يوحنا)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا – القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد
أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة ١٧ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
١٧٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
٢٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)
١١٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
يُسدَّد عن طريق موقع الدير على الإنترنت
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

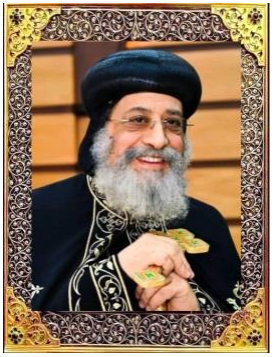

"صَلُّوا كلَّ حينٍ"

(لو ١٨: ١)

(٢)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

✠✠✠

الصلاة الدائمة يكون فيها الإنسان في حالة يقظة روحيَّة دائمة، وإحساس مستمر بالله، مع سيطرة كاملة على الأفكار والشهوات.

وتاريخها تاريخٌ قديم، فأول ما نسمع عنها نسمعه في تعاليم الآباء الكبار، أمثال: القدِّيس مكاريوس الكبير، والقدِّيس إسحق تلميذ الأنبا أنطونيوس.

▪ رغم بساطة ومرونة هذه الصلاة إلَّا أن لها قوَّة وفاعليَّة، ففيها نذكر اسم الرب يسوع: في إخراج الشياطين، وشفاء المرضى.

▪ هي صلاة تلقائيَّة يمكن أن نُردِّدها ونحن نزاول أنشطتنا اليوميَّة، فهي لا تحتاج إلى مجهودٍ في حفظها، مثل الصلوات والمدائح الطويلة.

وهذه الصلاة من المُمكن أن تستخدمها وأنت تقوم بأيِّ عملٍ آخر، مثل الأُم وهي تُطهي الطَّعام، وأيضًا الآباء الرهبان يُصلُّون هذه الصلاة أثناء تأدية أيِّ أعمالٍ يدويَّة أو خدمة الزوَّار في المائدة.

وهي عكس الصلوات القانونيَّة التي تكون تأديتها صعبة في مثل هذه الأوقات.

▪ هذه الصلاة ينطبق عليها قول الأب ثيئوفان الناسك:
[اليدان منشغلتان في العمل، والذهن (العقل) والقلب مع الله].

ترديد هذه الصلاة يجعلها عادةً في اللاوعي، وتجعلك دائمًا في وجودٍ دائم في حضرة الله. ومن هُنا نفهم وصيَّة السيِّد المسيح حين قال: «وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلًا فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ **يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يُمَلَّ**» (لو ١٨: ١).

ولكن كيف يمكن أن نُصلّي كلَّ حين، بالرغم من وجود مسؤوليات لكلٍّ فردٍ منَّا: من عمل أو دراسة ... إلخ؟

إجابة هذا السؤال: إنه طالما حياتك حاضرة أمام الله باستمرار، فهذه تُعتَبَر صلاة، فلا يقطع صلوات الإنسان إلَّا خطاياه. فمثلًا مَنْ يستذكر دروسه، فهو يقوم بعملٍ إيجابي لحياته وحياة الإنسانيَّة كلها، وهذه تُعتَبَر صلاة؛ وهكذا مَنْ يقوم بعمله بأمانةٍ، فهو بمثابة مَنْ يُمارِس حياة الصلاة.

وأيضًا مَنْ له علاقة جيِّدة بأفراد أسرته، فهذه صلاة. فاجعل دائمًا قلبك مرفوعًا لله خلال كلِّ عملٍ تقوم به. وهناك آية جميلة تقول: «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ» (١كو ١٠: ٣١)، بمعنى أنك تُحوِّل وتُمزِج كلَّ أفعالك بروح الصلاة الدائمة. ولكن احذر لأن عدو الخير لا يملّ من مُحاربة الإنسان. فيبعث إليه بأفكارٍ تُشتِّت ذهنه أثناء الصلاة، وكذلك حروبًا مختلفة قد تكون خفيفة أو ثقيلة من أجل تشتيت الذِّهن أو ترك الصلاة.

والوسيلة الوحيدة لطرد حروب الفكر الشديدة التي يُحاربنا بها عدو الخير، هي الصلاة السَّهميَّة. ومن هُنا سُمِّيت سهميَّة، لأنها تكون كالسَّهم في إصابته للعدو. وللقدِّيس يوحنا الدَّرَجي هذه العبارة الجميلة: "اهزموا واجلدوا أعداءكم باسم الربِّ يسوع، لأنه ليس هناك أقوى منه، لا في السماء ولا على الأرض".

- الترديد التلقائي لاسم ربنا يسوع المسيح، لمرونته وبساطته، يُساعدنا على الصلاة بلا انقطاع.

الأنبا إيليا:

[قيل عنه لمحبتِهِ في الوحدةِ أقام في بربا خربةٍ، فأتاه الشياطين قائلين: "اخرج من هذا المكان لأنه موضعنا". فأجابهم الشيخُ: "أنتم ما لكم مكانٌ". فبدَّدوا خوصَه، وقالوا له: "اخرج من ههنا". فقام وجمعه، وجلس يُضفِّر وهو صامتٌ، فبدَّدوه له أيضًا قائلين: "اخرج من موضعنا". فقام أيضًا وجمعه وجلس صامتًا. ثم إنَّ الشياطين أمسكوا بيدِهِ، وبدأوا يجرُّونه إلى خارجٍ قائلين: "لا تُقِم ههنا، لأنه موضعنا". فلما بلغ البابَ أمسكه بيدِهِ وصرخ قائلًا: "يا يسوعَ المسيح إلهي أعنِّي". وللوقت هربت عنه

الشياطين. فابتدأ الشيخُ يبكي، فجاءه صوتُ الربِّ قائلاً له: "لماذا تبكي"؟ فقال الشيخُ: "كيف لا أبكي وهؤلاء يتجاسرون هكذا على محاربةِ خليقتك"؟ فقال له الربُّ: "إنك أنت الذي توانيتَ، فلما طلبتني وجدتني"][1].

▪ صلاة يسوع تجعل الإنسان في حديثٍ دائم مع الله، فبينما الإنسان بجسدِه مع الناس، يكون عقله وقلبه منشغلَيْن بالله. وكلُّ الذين مارسوا تلك الصلاة واستمروا فيها، أصبحت عندهم حساسيَّة نحو أقل خطية، خشية أن يفقدوا تلك العِشرَة مع السيِّد المسيح، فجعلتهم أكثر التصاقًا به.

السائح الروسي:

من أبرز الذين تقرأ عنهم في تطبيقهم لصلاة يسوع "السائح الروسي"، فالروس – كما قُلنا – طبَّقوا هذا المنهج بأمانةٍ وإخلاص حتى بلغوا فيه شأنًا.

والسبب في أنَّ هذا السائح طبَّق هذا المنهج، كان هذه الآية التي هي محور تأملنا: "صلُّوا بلا انقطاع".

لقد وُجِدَت القصة في التاريخ الرهباني بعنوان: "سائح روسي على دروب الرب". وكلمة سائح، ليس المقصود بها شخصًا قادمًا للنُّزهة أو التِّجوال في بَلَدٍ ما؛ ولكن المقصود بها درجة عُليا في الحياة الروحيَّة، أو الحياة الرهبانيَّة المسيحيَّة.

هذا السَّائح الروسي قرأ في الكتاب المقدَّس الآية التي تقول: «يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يُمَلَّ» (لو ١٨: ١)، فَنَفَذَت هذه الكلمات – عن كلِّ ما عداها – إلى أعماقه، وبدأ يُفكِّر: كيف يمكن أن يُصلِّي بلا انقطاع وهو منشغلٌ بمهامٍ كثيرة. وهُنا جال باحثًا عن معنى الصلاة كل حين وبلا انقطاع، وكيف يمكنه أن يُطبِّق هذه الآية؟!

فأخذ هذا السائح البسيط على عاتقه أن يتنقَّل بين الآباء في براري روسيا، لعلَّه يجد إجابة لسؤاله: كيف يُمكنه أن يُصلِّي في كلِّ حين؟! وبعد أن جال كثيرًا باحثًا عن تطبيقٍ عملي لوصية الصلاة كل حين، دلَّه أحد الآباء بأن الصلاة الدائمة غير المُنقطعة، هي مُناداة اسم الرب يسوع بالشِّفاه وبالفكر وبالقلب. وتُغرس هذه العاطفة بترديد هذه

(١) "بستان الرهبان"، قول رقم ٤٥٠.

العبارة: "يا ربي يسوع المسيح ابن الله ارحمني أنا الخاطئ".

وقال له: أَجبِر نفسك على أن تقولها دائمًا فإذا نجحتَ إلى زمن، حينئذ سينفتح قلبك للصلاة الدائمة. وقال له: إنَّ هذا هو تعليم الآباء، فأَطِع إرشادي من الآن فصاعدًا، وكرِّر صلاة يسوع ٣٠٠٠ مرَّة في اليوم أثناء قيامك وجلوسك ورقادك ومشيك وعملك وراحتك. وقُلها بهدوء وبدون إسراع، ولا تحاول أن تُنقِص أو تزيد في العدد والله سيُساعدك، وبتلك الطريقة ستصل إلى صلاة القلب غير المُنقطعة. فَقَبِلَ الأمر بسرور ومضى إلى كوخه، فوجد أنَّ الأمر صعبٌ في اليومين الأوَّلين، ولكن بعد ذلك سهل عليه لدرجة أنه كُلَّما توقَّف شعر بما يدفعه إلى الاستمرار. فذهب إلى مُرشدهِ فأمره بالمزيد، وفي كوخهِ ردَّد هذه الصلاة أسبوعًا آخر دون أن يتضايق، وتعلَّم كيف يُركِّز ذهنه وكيف لا يتشتَّت عقله إلى الأفكار الأُخرى! وشعر أنَّه إن توقَّف عن هذه الصلاة فكأنه فَقَدَ شيئًا. وعندما قابل مُرشده وأخبره عن فرحه وارتياحه، فقال له: هذه نتيجةٌ طبيعيَّة للمجهود المُتواصل والروح اليَقِظة.

ولذلك يُمكن للإنسان أن يفرد وقتًا خلال يومه لكي ما يُصلِّي فيه هذه الصلاة السَّهميَّة، وإن قُدِّمت هذه الصلاة مصحوبة بالميطانيات، يكون تأثيرها أقوى. فالإنسان يقول وهو منتصبٌ: "يا ربِّي يسوع المسيح"، مع رشم ذاته بعلامة الصليب؛ ثم يسجد إلى الأرض قائلًا: "ارحمني أنا الخاطئ".

وكأنَّ الإنسان في كلِّ ميطانية، يقول للربِّ بسجوده إلى الأرض: "إن خطيئتي قد أوصلتني إلى أسفل، إلى الأرض"؛ ثم بقيامه مرَّةً أُخرى للوقوف كأنه يقول للرب: "إن فداءك وقيامتك قد أقاماني من الخطيَّة".

ولكن لا مانع من ترديد هذه الصلاة والإنسان جالسٌ، فكُلٌّ واحدٍ حسب ظروفه الصحيَّة. وهذه الصلاة الدائمة تحتاج إلى نوعٍ من التدريب، وذلك بمشورة أب الاعتراف. وتحتاج أيضًا إلى نوعٍ من التركيز، ويمكن أن نُصلِّيها في ضوءٍ خافت (على ضوء شمعة) والبُعْد عن الأجهزة الكهربائية.

قد تتعثَّر في بداية التدريب عن مُمارسة هذه الصلاة، ولكن مع الجهاد والاستمرار سيمتلئ قلبك فرحًا؛ وأُمّنا العذراء مريم وصفها ملاك البشارة بأنها "المُمتلئة نعمةً"، وقد نالت هذه النعمة بسبب جهادها في الصلاة.

ومن مُميِّزات هذه الصلاة أنها لا تحتاج إلى أيِّ نوع من التعليم أو الدراسة. ويقول أحد الآباء: "ليس هناك فضيلة من الفضائل تُشبه فضيلة مُداومة الصلاة والتضرُّع باسم ربنا يسوع المسيح في كلِّ وقت".

ويمكن أن تُصلَّى هذه الصلاة بصوتٍ خافت يُمكنك أن تسمعه، وذلك إن كنتَ في معزلٍ عن الناس؛ أمَّا إن كنتَ وسط الناس، فيُمكنك أن تُصلِّيها بقلبك فقط، كما يقول الكتاب: «أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ» (نش ٥: ٢).

وستجد أن نبضات قلبك وحركات التنفُّس، تتماشيان مع مقاطع الصلاة: "يا ربي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ".

البابا تواضروس الثاني

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

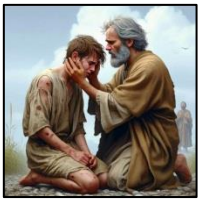

مقال للأب متى المسكين

توبة الخاطئ وفرح الله

الابن الضال[1]

✣✣✣

١٥: ١١ و١٢ «وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ».

يُلاحَظ أن الابن الأصغر طالب أباه بنصيبه من المال فأخذه كله، بحيث لم يَعُد له عند أبيه أي أحقِّيَّة شرعيَّة أن يرعاه، لأنه طلب الانفصال وحقَّقه. هذا نفهمه من قوله وهو في الغُربة المُرَّة: «أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. **اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ**» (لو ١٥: ١٨و١٩). أي لم يَعُد له نصيب الابن بسبب القسمة التي طلبها وبدَّدها. ومعروفٌ أن البِكْر يأخذ نصيبًا مُضاعفًا في الميراث، ويبدو أن الأب فعلًا أعطى الابن الأكبر ما يخصُّه من مال، لذلك احتجَّ لمَّا ذبح الأب للابن الأصغر العِجْل المُسمَّن قائلًا: إنه لم يَنَل منه حتى جديًا بنوع من الهدية، لأن كِلَا الأخَّين أخذ ميراثه، والمُطالبة هنا بالجدي في مقابل العِجْل، وهذان ليس من حقِّهما. كذلك يحتج الابن الأكبر أنه كان يعمل مع أبيه في الحقل، أمَّا الأصغر فكان حُرًّا وفصل نفسه ولم يَعُد يخدم أباه. نخرج من هذه التفاصيل: إنه كانت هناك مُحاباة واضحة من الأب للابن الأصغر. والواضح هنا أنَّ الأصابع تُشير إلى الجزء الأصغر والأحقر في شعب الله، أي العشَّارين والخطاة الذي تحوَّل وأصبح الأُمم فيما بعد. وهذه نظرة المسيح البعيدة في المَثَل. ولكن لا ننسى أنَّ الناموس كان يُحابي الابن الأكبر لأنه بِكْرٌ، بأن يأخذ ضعف الأصغر!! لذلك يظهر الابن الأكبر أنه حاقدٌ على أخيه مع إنه مميَّز، والأصابع هنا تُشير إلى الجزء الأرستقراطي في الشعب: كَتَبَة وفرِّيسيين وناموسيين وكهنة ورؤساء كهنة، الذي سيتحوَّل في العهد الجديد إلى عظماء الأُمم.

١٥: ١٣ «وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الاِبْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ».

---

(١) عن كتاب: "الإنجيل بحسب القدِّيس لوقا – دراسة وتفسير وشرح"، الطبعة الرابعة: ٢٠١٥، من ص ٥٧٢ – ٥٧٨.

«جمع ... كلَّ شيءٍ»: συναγαγών

"جمع كلَّ شيء" في اللغة اليونانية – بحسب العلَّامة كريد[٢] – تفيد أنه حوَّل كلَّ الممتلكات إلى نقود، وفي هذا الإجراء نوعٌ من الجفاء في حقِّ الأب أخلاقيًّا، فكأنه اعتبره أنه قد مات. وهذا كله يُضاف لحساب احتمال الأب ومحبته وعطفه على الأصغر. وهذا التصرُّف في عُرْف اليهود كان يمكن قبوله ومدحه لو كان قد ذهب إلى مدينةٍ وتاجر وربح. ولكن، للأسف، فقد ذهب وبذَّر معيشته (كل ما يخصُّه) "بعيشٍ مُسْرِف". وهنا أيضًا هذا الاصطلاح يجيء في اليونانية باحتمال الصَّرف على الخطية ἀσώτως، أي بصورةٍ غير أخلاقية. وهي كلمة مشتقَّة من كلمة ἀσωτία التي تعني: "الخلاعة" كما في أفسس ٥: ١٨.

١٥: ١٤ و١٥ «فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ».

حَبْك القصة هنا نادرٌ وجميل، فالمسيح افتعل الجوع الذي سيؤدِّي حالًا إلى عودة الابن إلى أبيه، وهذه اللفتة البديعة تُضاف إلى عين الآب الساهرة على الخطاة كيف يفتعل الأزمات والضيقات في وجههم ويُضيِّق عليهم حتى يشعروا بخطئهم، ثم يستثير عواطفهم في التعب والجوع ليُدركوا أن هذا بسبب خطيتهم فيفكِّروا في العودة والتوبة! وهذا ما تمَّ في هذه القصة العجيبة.

هنا تأتي المُقارنة في ضمير الابن الأصغر بين رفاهية الحياة مع أبيه وبين حياة المهانة والجوع والعوز بعيدًا عن أبيه (الله). بعد كرامة البنوَّة صار عبدًا يخدم النجاسة، والخنازير كناية عن عيشة الخطية. ويُلاحَظ هنا أنَّ الخنازير نجسة عند اليهود (لا ١١: ٧)، ورعاية الخنازير خدمة ملعونة عند اليهود، وهي تفيد خدمة الخطية وبالذات النجاسة: [ملعون الرجل الذي يُربِّي خنزيرًا، وملعون الرجل الذي يُعلِّم ابنه حكمة اليونان][٣].

١٥: ١٦ «وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ».

«الخرنوب»: Pods of carob. *Ceratonia siliqua*

وهو ثمرة الخرُّوب العادية التي يُصنع منها شراب الخرُّوب، ولكن الخروب الجبلي لا

(2) J.M. Creed, *The Gospel according of St. Luke: The Greek Text, with Introduction, Notes and Indices* (London: Macmillan, 1930).

(3) Baba Qamma VII, VIII.

طعم له، إذ هو فاقد السُّكَّر وقاسٍ في جفافه. ومن سياق الكلام يُفهَم أن الابن الأصغر اشتهى ولم يجد! منتهى المذلَّة، إلى هذا الحدِّ تنتهي الخطية بالإنسان العاق. وهو مَثَلٌ يهودي حَبَكَه المسيح في هذه القصة: إنَّ فلانًا اِبْتُلِيَ بالفقر والجوع حتى إلى أَكْل الخروب. الخطية قادرة أن تذلَّ كبرياء العاصي والمُتمرِّد، لأن عين الله سهرانة كيف وإلى أيِّ حدٍّ تؤدِّب!

١٥: ١٧ **«فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا!»**

وهكذا – حسب المَثَل – حينما يجوع الإنسان وتَحْفَى (من الحفا أي الرِّجْل العارية) قدمه، يفيق إلى نفسه! فابتدأ يذكر عزَّ أبيه وراحة أُجرائه وهو يهلك جوعًا. إلى هذا الحدِّ تقسو يد الله على الخاطئ المُكابِر حتى يعود إلى صوابه، ولكنها قسوة الرحمة والعين الساهرة.

١٥: ١٨ و١٩ **«أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ».**

وهكذا الابن إذا تمرَّد على أبيه يذهب ويعود سائلًا أن يصير أجيرًا. وهكذا احتقر الإنسان بنوَّته لله وخرج من لَدُنه إلى اللاعودة، وبمُمارسة الخطية، فَقَدَ صورة البنوَّة واسمها وكرامتها، وصار عبد الخطية. وهكذا لزِم أن ينزل "الابن" – ابن الله – من لدن الآب ويتغرَّب مع الإنسان ويذوق معه البعاد ولو إلى لحظة: «إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي» (مت ٢٧: ٤٦)، ليعود إلى الآب حاملًا الإنسان وقد استعاد له عند الله مكانًا عن يمين الآب وفي قلبه، ولكن بتكلفةٍ باهظة كلَّفت الآب أن يموت الابن على الصليب ليحيا الإنسان كابنٍ من جديد، وصارت هذه التكلفة عينها رصيدًا دهريًّا أبديًّا يصرف منه الخطاة، كل الخطاة، حقَّ العودة إلى الآب، لا كأُجراء بعد ولكن كأبناء لهم كل ما للابن من حُبٍّ وميراث. فإذا فتَّشنا في قصة الابن الضال تفتيشًا واعيًا، فإننا نجد أن **"عودة الابن"** تصحُّ أن تكون عنوانًا لها وليس ضلالة الابن، لأنه لولا الجلجثة ما عاد ابنٌ وما غُفِرَت خطيةٌ وما فَهِم الإنسان معنى أُبوَّة الله، لأن المسيح لم يرفع الإنسان من ضلاله بل من الهلاك: **«كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ».**

١٥: ٢٠ **«فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ».**

أخطر آية في هذه القصة المُثيرة: **«فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ».** هذه الحركة احتاجت من ابن الله أن يموت على الصليب بالجسد (البشرية)، لكي **"يقوم ويذهب إلى الآب"** فتقوم فيه

البشرية وتجيء إلى الآب. وهي أعظم حركة إيجابية في القصة كلّها وعليها يدور الحديث والوصف وكل التعبيرات!

إنَّ أحوج درس تحتاجه المسيحيَّة الآن، هو الدرس الذي يُعلّم الخاطئ كيف يقوم ويذهب إلى الآب! هنا نتعجَّب أنَّ المسيح لم يذكر أنَّ الأب قام وفتَّش عن ابنه الضال وأرسل المُنادين وقصَّاصي الأثر، بل ظلَّ جالسًا في بيته يحتل بكلِّ رزانة سلطانه الأبوي. صحيح أن المسيحيَّة تحتاج إلى المُعلّم والواعظ والأب الروحي والرئيس، ولكن كل ذلك اختفى من هذه القصة. فهذه القصة تقوم على أساس أنَّ الابن عرف اللحظة الحرجة التي فيها يقوم ويذهب إلى أبيه. وهنا ينبغي أن نقف ونقول: إذا لم يتأسَّس الإنسان على معرفةٍ روحيَّة صحيحة، فلن يعرف متى يتوب ويعود إلى الله. وأجمل ما في هذه القصة أنَّ في اللحظة التي تحرَّك فيها الابن نحو أبيه واطمأن لها الأب، قام الأب وركض لاستقباله بكلِّ عطف وحنان الأُبوَّة.

١٥: ٢١ – ٢٣ **«فَقَالَ لَهُ الاِبْنُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ».**

لمَّا ابتدأ الابن أن يتلو ما حفَّظه لنفسه طول الطريق من اعتذارٍ وتأسُّف شديدَيْن، لم يسمع له الأب وانشغل خصيصًا كيف يُعدُّ له الوليمة، والخاتم والحُلَّة والحذاء والعِجْل المُسمَّن. هنا الابن العائد إلى أبيه يحكي قصة خجلِهِ وما عمله وما تأتَّى من عملهِ، والأب يحكي قصة حُبِّه وأُبوَّته وحنانه المذَّخر له في قلبه. هنا المُصالِح كأنه غائب؛ ولكن، العجب العُجاب، أنه هو هو الذي يحكي هذه القصة، حيث رجعة الإنسان إلى الله قامت على دم صليبه. وهكذا تمامًا «إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ» (٢كو ٥: ١٩). ولذلك فإنَّ هذه القصة المُتقنة على المستوى البشري، يتركز سرُّها الأعظم في عمل المسيح كمُصالِح أخفى نفسه في القصة؛ ولكن القصة تقوم كلها عليه، إذ لا يمكن أن يفوت علينا أنَّ القصة في أصلها هي عن المسيح وحبِّه للخطاة.

أمَّا الحُلَّة والخاتم والحذاء والعِجْل المُسَمَّن، فكلُّها تنتهي بعبارة: «لنفرح»، هذا فرح الله والملائكة والسماء. كما قالها القدِّيس لوقا في بداية الأصحاح: «أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لو ١٥: ٧)، «هكَذَا أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لو ١٥: ١٠).

١٥: ٢٤ «لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ».

«كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ»: جملة خطيرة تُخفي في طيَّاتها حقيقة كانت مختفية، وهي التي جعلت قلب الأب يخرج هكذا عن رزانته في شدَّة فرحه، وإظهار عاطفته، وإقامة الحفلة الكبيرة. يبدو أن الابن الأصغر كان على خلافٍ مع أبيه، فقرَّر أن يخرج ولا يعود، هذا هو التفسير الوحيد وراء قول الأب: "إن ابني هذا كان ميِّتًا فعاش"، بجوار انغماس الابن في الإسراف وفي الخطية حتى جاع وتعرَّى، فهي أيضًا حالة موتٍ أدبي وروحي معًا. ولكن هذا وذاك يُعطينا صورةً باهتة عن حالة الإنسان عمومًا في بُعده عن الله الذي كان بشِبْه طرد من أمام وجهه وتجريده من الميراث السماوي، ثم بعد ذلك الانغماس في الخطية والعصيان حتى ابتعد نهائيًّا عن العلاقة الأُولى مع الله. فالمسيح أنقذ الإنسان من الموت الأدبي والروحي الذي هو الهلاك بعينه لدى الله، بل ومُضافٌ إلى الموت حُكْم لعنة.

فعودة الابن بهذه الصورة كان وراءها مُصالِح، كما سبق وقلنا، لم يُظهِره المسيح في القصة لأن زمانه لم يجئْ بعد.

«فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ»: مَنْ هم؟ واضحٌ أنه أسلوبٌ شفَّاف يكشف عن جوقة سماويَّة من الملائكة، باستعداد أَمْر الأب للتسبيح والفرح بجوار الخَدَم، وأيضًا بجوار العِجْل المُسمَّن والمطهي أيضًا. هكذا تفرح السماء والأرض بالإنسان العائد إلى أبيه السمائي!!

١٥: ٢٥ – ٢٧ «وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا. فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا».

والآن، وبفم المسيح المُبارك، يحاول أن يختم القصة، فظهر الابن الأكبر في الأُفق وقرب من البيت وسمع ما سمع. وهنا يستشف القارئ مَنْ هو الابن الأكبر الآتي بغضبه! إذ ليس هو سوى هؤلاء الكَتَبَة والفرِّيسيين الغاضبين على كيف يأكل المسيح ويفرح مع العشَّارين والخطاة! ولكن السؤال الماكر: هل الابن الأكبر لم يكن في سلامٍ مع الأب حتى يهمله هكذا دون أن يُرسِل له الخبر المُفرح للمجيء؟؟ نقصد هنا الفرِّيسيين الذين يجهلون ويتجاهلون: لماذا يحبُّ المسيح الخطاة ويُقيم معهم وليمة حبٍّ وعودة؟ و«سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ» = συμφωνίας أي orchestra (غالبًا آتية من فوق)! «وَرَقْصًا» (ذا صفَّين كما في

نشيد الأنشاد ١٣:٦) = χορῶν (خوارس)، ومن الخَدَم عَلِمَ الابن الأكبر القصة كلها، وأدرك أنَّ الفرح والرقص والطرب لأن الابن الأصغر حضر سالمًا. وهنا والمسيح يقصُّ القصة والفرّيسيُّون يصِرُّون بأسنانهم!! لأن القصد مكشوف.

١٥:٢٨و٢٩ **«فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي».**

واضحٌ هنا عداوة رابضة في القلب تجاه الابن الأصغر، جعلت الابن الأكبر يعترض على هذا الاحتفال بقدوم ابنٍ عاق لم يصنع مع أبيه ما يستحقُّ هذا كله، وكان غاضبًا. ولكن الأب يبدأ بالسؤال والمُلاطفة حتى يدخل، ولكنه كان غير مهذَّب في الحديث مع أبيه. وابتدأ يعدِّد حسناته بجوار مساوئ أخيه، وكيف كان يخدم طائعًا وصايا أبيه، ومع ذلك لم يَفُزْ بجديٍ واحد. المسيح هنا يعكس مشاعر الفرّيسيين، كما كان يراها المسيح والكنيسة الأُولى. والمسيح جاد في أوصافهم لكي يفهموا ويتحرَّكوا ليأخذوا موقفًا صحيحًا قبل أن تضيع عليهم الفرصة. لقد رفضوا الفرح بالمسيح، كما فرح الزناة والعشَّارون، فحُرموا منه في السماء.

١٥: ٣٠ **«وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ».**

وكأنه ليس أخاه إذ دعاه: «ابْنُكَ هذَا»، باحتقار الفرّيسيين المعهود للعشَّارين والخطاة، ولم يجد في أخيه ما يسمح بالأُخوَّة، بل اعتبره قد بدَّد معيشة الأسرة وأتلف أموالها على الزواني، وهو لا يملك برهانًا واحدًا على ادِّعاءاته بعيشة الزواني هذه.

١٥: ٣١ و٣٢ **«فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ».**

الأب يوضِّح حقيقةً أراد الابن الأكبر أن يتجاهلها لكي يصبَّ جام غضبه على أخيه وأبيه، وهي بما إنه هو الابن الأكبر، فالثوابت في الأرض والملكية كلها ستؤول إليه لأنه الابن البِكْر: «كُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ» قانونيًّا، لذلك وضح ادِّعاء الابن الأكبر. ولكن بالرغم من أنَّ كلَّ شيء هو لك، أَمَا كان يتحتَّم وأخوك هذا كان في حُكْم الأموات، وها هو يحيا، أن نفرح ونُسَر؟ لأنه كان الأوجب على الابن الأكبر أن يفرح بعودة أخيه ويُسرّ. ولكن السؤال الخطير يبقى في النهاية: هل يدخل الابن الأكبر؟؟

النبي الهارب والشعب التائب

للقدِّيس كيرلس الكبير[1]

(٣٧٥ – ٤٤٤م)

(٢)

✠✚✠

أقوال الآباء

مُناداة يونان في نينوى:

«ثُمَّ صَارَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ ثَانِيَةً قَائِلًا: قُمْ وَامْضِ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ، وَنَادِ فِيهَا كَالْمُنَادَاةِ السَّابِقَةِ الَّتِي أَنَا كَلَّمْتُكَ بِهَا» (يون ٣: ١، ٢ سبعينية).

انتهز الله فرصة حماس يونان وأَمَرَه أن يذهب إلى نينوى مرةً أخرى بنفس الرسالة. وقد شابه يونان المسيحَ الذي مكث في باطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، إذ ذهب إلى أعماق قلب البحر، وكأنه نزل إلى أسافل الجبال، وهبط إلى مغاليق الأرض التي أغلقت عليه قضبانها بإحكام.

ولكن المسيح سَلَبَ الجحيم وبشَّر الأرواح الموجودة هناك، وفَتَحَ الأبواب الموصدة، وعاد إلى الحياة مرةً أخرى؛ إذ تحررت حياته من الفساد، وظهر بحالته هذه لأولئك النسوة اللائي كُنَّ يبحثن عنه ثم للرُّسُل.

ثم إنَّ رسالة الربِّ وصلت أخيرًا أيضًا إلى الأُمميين بواسطة الرُّسُل المُباركين. ومع إنه كان قد قال للرُّسُل: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا؛ بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ» (مت ١٠: ٥، ٦)؛ إلَّا أنه جعلهم يُبشِّرون أخيرًا برسالته التي جاء من أجلها للجميع. وكانت وصايا إنجيله واحدة لكلٍّ من إسرائيل والأُمم الذين نحن منهم والذين دُعينا إلى القداسة بواسطة الإيمان.

«فَقَامَ يُونَانُ وَمَضَى إِلَى نِينَوَى كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ. أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً لِلَّهِ نَحْوَ

(1) Commentary on the Twelve Prophets, Vol. 2, St. Cyril of Alexandria, *Commentary of Jonah*, p. 147.
والجزء الأول من هذه العظة تمَّ نشره في عدد فبراير ٢٠٢٥، ص ٢١ – ٢٦.

مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الطَّرِيقِ. فَابْتَدَأَ يُونَانُ الدُّخُولَ إِلَى الْمَدِينَةِ نَحْوَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَنَادَى وَقَالَ: ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَعْدُ، وَتَنْقَلِبُ نِينَوَى» (يون ٣: ٣،٤ سبعينية). لقد مُنِحَ النبي غيرةً لا تُقاوَم، وانطلق إلى مهمته بنشاطٍ ودخل تلك المدينة الأجنبية لكي يوفي الأحكام الإلهيَّة.

ورغم أن نينوى كانت مدينة كبيرة ممتدَّة حتى أنها تتطلَّب مسيرة ثلاثة أيام؛ ولكن يونان عَبَرَها في يومٍ واحد، بقوَّةٍ إلهيَّة طبعًا، وأعلن الرسالة الإلهيَّة. لقد أثار دهشة النُّوتيَّة، إذ إنه رجلٌ عبراني آتٍ من بلادٍ أجنبية غير معروفة لأحدٍ هناك، وقد سار وسط المدينة وهو يصيح بصوتٍ عالٍ: «بعد ثلاثة أيام تنقلب نينوى».

وقد تكلَّم النبي، ليس من ذاته، بل من فم الرب. والأنبياء غالبًا لا يذكرون كلَّ ما قاله الله لهم، ولا كلَّ الكلام الذي قالوه هم لله. ونحن نستنتج ذلك من قوله لله: «آهِ يَا رَبُّ! أَلَيْسَ هَذَا كَلَامِي وَأَنَا بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ وَلِذَا بَادَرْتُ لِلْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ ...» (يون ٤: ٢،٣).

استجابة أهل نينوى بالإيمان والتوبة:

«فَآمَنَ رِجَالُ نِينَوَى بِاللهِ، وَنَادَوْا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحًا مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ» (٣: ٥). آمن هذا الشعب بالله، هذا الذي كان مُدانًا بسبب كلِّ خطاياه المُتأصِّلة فيه وأصنامه التي بلا عدد، ومُمارساته الشعبية المُخجلة. ومع ذلك، فقد آمنوا بالله من كبيرهم إلى صغيرهم، الشهير والحقير، الغَني والفقير، الجميع شعروا بنفس الغيرة في قبول كلام النبي. وقد استجابوا لدعوته بدون تردُّدٍ لإصلاح أنفسهم، وخضعوا للإنذار الإلهي الذي دعاهم للتوبة، رغم أنه جاء من أجنبي وحيد لا يعرفونه. في حين أنَّ إسرائيل بغبائه لم يُطِع الناموس، وسَخَر من الوصايا الموسوية ولم يستوعب كلام الأنبياء؛ بل إنهم صاروا قاتلين للرب، ولم يؤمنوا بالمُخلِّص.

وهذا هو ما قاله الله لحزقيال النبي: «اذْهَبِ امْضِ إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَكَلِّمْهُمْ بِكَلَامِي. لأَنَّكَ غَيْرُ مُرْسَلٍ إِلَى شَعْبٍ غَامِضِ اللُّغَةِ وَثَقِيلِ اللِّسَانِ، بَلْ إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. لَا إِلَى شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ غَامِضَةِ اللُّغَةِ وَثَقِيلَةِ اللِّسَانِ لَسْتَ تَفْهَمُ كَلَامَهُمْ. فَلَوْ أَرْسَلْتُكَ إِلَى هؤُلَاءِ لَسَمِعُوا لَكَ. لكِنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَسْمَعَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لَا يَشَاؤُونَ أَنْ يَسْمَعُوا لِي. لأَنَّ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ صِلَابُ الْجِبَاهِ وَقُسَاةُ الْقُلُوبِ» (حز ٣: ٤ – ٧).

«وَبَلَغَ الْخَبَرُ مَلِكَ نِينَوَى، فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ وَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ، والْتَفَّ بِمِسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ. وَنُودِيَ وَقِيلَ فِي نِينَوَى مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلًا: لَا تَذُقِ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ

وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ شَيْئًا. لَا تَرْعَ وَلَا تَشْرَبْ مَاءً. وَالْتَفَّ النَّاسُ وَالبَهَائِمُ بِالْمُسُوحِ، وَصَرَخُوا إِلَى اللهِ بِلَجَاجَةٍ. وَرَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ قَائِلِينَ: مَنْ يَعْلَمُ لَعَلَّ اللهَ يَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلَا نَهْلِكَ؟» (٣: ٦-٩). لقد أظهر مديحه لاستجابتهم بتفاصيل كاملة، وأُعجب جدًّا باستعدادهم للتوبة. وحتى ملكهم ترك عرشه ورداءه الملكي وتغطَّى بالمسوح رداء النوح. وإذ جلس على الرماد، أعطى مثالًا لغيره لكي يُمسِكوا عن الطعام ويُصلُّوا بلا انقطاع متوسِّلين إلى الله لأجل الرحمة.

لقد كان أهل نينوى حكماء، إذ كرَّسوا أنفسهم للإقلاع عن الفساد بواسطة الصوم الذي هو العمل الأصيل الوحيد للتوبة. أمَّا شعب إسرائيل، فلم يهتموا بذلك؛ بل إنهم أحيانًا كانوا يُقدِّمون صومًا يُعتبَر دنسًا، كما قال إشعياء النبي: «لِمَاذَا صُمْنَا وَلَمْ تَنْظُرْ؟ ذَلَّلْنَا أَنْفُسَنَا وَلَمْ تَعْلَمْ؟ لأَنَّكُمْ فِي أَيَّامِ صَوْمِكُمْ تَجِدُونَ مَشِيئَاتِكُمْ وتَطْعَنُونَ كُلَّ مَنْ هُوَ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمُحَاكَمَاتِ وَالْخُصُومَاتِ تَصُومُونَ وَتَضْرِبُونَ الْمُتَّضِعَ بِلَكْمَاتٍ، فَلِمَاذَا تَصُومُونَ لِي كَمَا الْيَوْمَ كَيْ يُسْمَعَ بِصُرَاخٍ صَوْتَكُمْ؟ لَيْسَ هَذَا الصَّوْمُ مَا اخْتَرْتُهُ، وَلَا يَوْمَ أَنْ يُذَلِّلَ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ» (إش ٥٨: ٣-٥).

أمَّا أهل نينوى، فقد آمنوا بالله وقدَّموا صومًا نقيًّا بلا لوم، إذ اعتقدوا أنه «مَنْ يَعْلَمُ لَعَلَّ اللهَ يَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلَا نَهْلِكَ؟»، وذلك بسبب صلاحه وطيبة قلبه. ومن الناحية الأخرى، فهو يُعاقب الخطاة والذين يتورَّطون في القساوة بعناد، إذ يفرض غضبه كنوعٍ من اللِّجام لكي يُعنِّفهم ويأتي بهم إلى الإذعان. أمَّا بخصوص صوم البهائم، فقد كان نوعًا من المُغالاة، وليس من الضروري أن يكون قد حدث ذلك، ولكن الكتاب ذَكَر ذلك لكي يُوضِّح درجة توبتهم غير العادية! إنه ينسب المُعاناة أيضًا للحيوانات.

رجوع الله عن غضبه:

«فَرَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ، أَنَّهُمْ قَدْ رَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمِ الرَّدِيئَةِ، فَنَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ» (٣: ١٠). هكذا يُسرع الربُّ في إظهار رحمته وخلاصه للتائبين. وهو يُريحهم في الحال من جرائمهم السابقة إذا كفُّوا عن خطاياهم، وهو يرفع غضبه ويُبدِّله بمُعاملةٍ طيِّبة. وهو ما قاله الرب لحزقيال النبي: «لِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟ لأَنِّي لَا أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا» (حز ١٨: ٣١،٣٢).

«فَاغْتَمَّ يُونَانُ غَمًّا شَدِيدًا وَتَحَيَّرَ، وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هَذَا كَلَامِي وَأَنَا بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ وَلِذَا بَادَرْتُ لِلْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ

الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشُّرُورِ» (٤: ١-٣).

فطالما أنَّ الله رؤوفٌ على الذين يتفادون غضبه بالتوبة، وحتى لو مضى الوقت على إتمام ما كان مُقدَّرًا لهم، وما تنبَّأ به عليهم النبي كان قد جاء وقت حدوثه؛ ومع ذلك فإنه لم يحدث. لذلك شعر يونان بغمٍّ شديد، وذلك ليس لأن انقلاب المدينة لم يحدث، ولكن لأنهم أخذوا عنه انطباعًا بأنه كاذبٌ مهذار. لقد أراد أن يتجنَّب ذلك، فأقرَّ بأنه هرب إلى ترشيش، حتى لا يكون موقفه مهزوزًا، لأنه اعترض على الله الذي يعلم كلَّ شيء ويمكنه أن يُغيِّر فكر الإنسان، فهو شافي الأرواح الذي يمكنه أن يُهدِّئ ضراوة شهواتنا: بالمصاعب أحيانًا، وبأعمال رحمته أحيانًا أخرى.

اكتئاب يونان وتشجيع الله له:

«فَقَالَ الرَّبُّ لِيُونَانَ: هَلْ قَدِ اغْتَمَمْتَ أَنْتَ جِدًّا؟ ثُمَّ خَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ قُبَالَةَ الْمَدِينَةِ وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّلِّ، حَتَّى يَرَى مَا سَيَكُونُ لِلْمَدِينَةِ» (٤: ٤،٥). فلكي لا يجعل الله النبيَّ فريسةً للاكتئاب، زوَّده بالحيوية في ضعفه، مؤنِّبًا إيَّاه برقَّةٍ على هذا الاكتئاب، وعلى فشله في إدراك الغرض من الأحكام الإلهيَّة، إذ مرت الأيام ولم يُنفِّذ الله تهديده لهم.

لقد اعتقد النبي أن الكارثة تأجَّلت بسبب أنهم قرَّروا أن يتوبوا، ولكن الغضب الإلهي سوف تظهر نتائجه إنْ لم يصنعوا أعمالًا تليق بالتوبة وتتناسب مع خطاياهم. ولذلك ترك النبي المدينة لكي ينتظر ما سيحدث لهم، وتوقَّع أن المدينة ربما تحترق مثل سدوم، ولكن خيمته في الواقع هي التي تحطَّمت!

«فَأَمَرَ الرَّبُّ الإِلَهُ يَقْطِينَةً (شجرة خروع)، فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ رَأْسِ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلًّا فَوْقَ رَأْسِهِ، لِيُظَلِّلَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ لأَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيمًا» (٤: ٦). هكذا أعدَّ الرب اليقطينة لفائدة النبي، كما أعدَّ الحوت لكي يبتلعه. فكبرت اليقطينة سريعًا، ليس فقط لتُظلِّله من الحرّ، بل الأهم هو لكي «يُخلِّصه من غمِّه»! فشعر يونان بالسعادة والميل إلى الاحتفاظ ببساطة الذهن مثل الأطفال الذين تشغلهم الأشياء المُفرحة عمَّا يُحزنهم.

«وَأَمَرَ اللهُ دُودَةً فِي الْغَدِ بَاكِرًا، فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ، فَيَبِسَتْ. وَحَدَثَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللهَ أَمَرَ رِيحًا مُحْرِقَةً حَارَّةً، فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ رَأْسَ يُونَانَ. فَصَغُرَتْ نَفْسُهُ وَرَذَلَ حَيَاتَهُ وَقَالَ: خَيْرٌ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ أَنْ أَحْيَا» (٤: ٧،٨).

والمقصود من الدودة عند الفجر هو الجراد، لأنه يتَّخذ وجوده من ندى الصباح. وضَرَبَ الجراد اليقطينة بقسوة؛ فلما يبست وهبَّت الريح الحارة، حُرِمَ النبي من الظِّلّ، فتفاقم سخطه حتى اشتهى الموت.

الله يوضِّح الهدف من القصة كلها:

«فَقَالَ اللهُ لِيُونَانَ: هَلْ قَدِ اغْتَمَمْتَ أَنْتَ جِدًّا لأَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟ فَقَالَ: إِنِّي قَدِ اغْتَمَمْتُ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ» (٤: ٩). لاحِظ مرةً أخرى إله الجميع في معاملته الرقيقة وحبِّه للنفوس البريئة، وأنه لا يُقصِّر بأيِّ حالٍ عن إبداء عاطفة الأُبوَّة. فلم يَعُد يونان يلوم رِقَّة الحبِّ الإلهي عندما قرَّر أن يُشفق على أهل نينوى؛ بل اعترف بغيظه مِمَّا جعل الله يشرح له سبب تدبيره لتلك القصة كلها.

«فَقَالَ الرَّبُّ: أَنْتَ أَشْفَقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ لأَجْلِهَا وَلَا رَبَّيْتَهَا، الَّتِي فِي لَيْلَةٍ كَانَتْ وَفِي لَيْلَةٍ هَلَكَتْ؛ أَفَلَا أُشْفِقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي يَسْكُنُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ» (٤: ١٠، ١١)؟!!

كيف يمكننا أن نفتح أفواهنا لنُقدِّم تسابيح الشكر لذاك المملوء بالرأفة والصلاح؟ إنَّ الربَّ يُبعد عنَّا معاصينا، فهو مثل أبٍ يُبدي الرأفة على أبنائه، هكذا هو يتراءف على الذين يخافونه لأنه يعرف جبلتنا (انظر: مز ١٠٣: ١٢ – ١٤).

لاحِظ كيف يُظهِر الرب اكتئاب يونان في وقتٍ غير مناسب رغم كونه ملتزمًا أن يمدح الرب على صلاحه كنبيٍّ قدِّيس. فإذا كان هو قد بلغ إلى اكتئابٍ فائق الحدِّ بسبب ذبول اليقطينة، أفلا يُشفق الرب على كلِّ هذا الشعب الذي لا يعرف يمينه من شماله؟ كما إنه يُشير إلى شفقته على البهائم، لأنه إن كان «الصِّدِّيقُ يُشْفِقُ عَلَى نَفْسِ بَهِيمَتِهِ» (أم ١٢: ١٠ سبعينية)، وهذا يُضاف إلى فضله؛ فلا غرابة أن يُشفق الربُّ على البهائم أيضًا.

وهذه هي الطريقة التي خلَّص بها المسيح كلَّ أحد، إذ بذل نفسه لأجل الصغير والكبير، الحكيم والجاهل، الغَنِي والفقير، اليهودي واليوناني، والذي قيل عنه: «... النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ تُخَلِّصُ يَا رَبُّ. مَا أَكْثَرَ رَحْمَتَكَ يَا اللهُ! فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَتَرَجَّوْنَ» (مز ٣٥: ٧، ٨)، الذي له المجد والقوة مع الآب والروح القدس الصالح والمُحيي إلى الأبد، آمين.

بمناسبة
الصوم المقدَّس

قصَّة الحبِّ العجيب

❖❖❖

حُبٌّ أبدي غير مشروط:

هي أعجب قصَّة حبٍّ عرفتها البشريَّة أو انخرط بها بشر، حبٌّ أبديٌّ غير مشروط غير محدود، غير متكافئ الأطراف. الطَّرَف الأول صاحب المبادرة: ربٌّ إلهٌ كلّي العظمة والقُدرة، لا يُشبهه أحد، كامل في أُلوهيته وصفاته، مثلَّث في أقانيمه، لا يشوبه ضعف أو خطيَّة، مُنزَّه عن كلِّ مادة أو فساد، فوق الزمن، فوق المُسبَّح فوق المُمجَّد، متعالٍ عن الأدهار والأزمان. الطَّرَف الثاني: بشرٌ مخلوق، ترابيٌّ ضعيف مائلٌ بطبعه للخطية، غير كامل في صفاته، غير أهل في ذاته لأيِّ نعمةٍ أو صلاحٍ أو خير. هذا الأخير، أحبَّه الأول بما لا يُقاس، وأعدَّ له خطَّةَ حبٍّ من قَبل إنشاء العالم، ليشترك في قداسته، ويتأهَّل لشركة الطبيعة الإلهيَّة؛ بل ليكون واحدًا معه في المجد لا في الطبيعة، لهذا: «الربُّ من بعيدٍ تراءى لي: "محبةً أبدية أحببتُك، لذلك اجتذبتُك بالرأفة"» (إر ٣١ : ٣س)، وأيضًا «هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا خَلِيلَتِي، هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ، عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ» (نش ١: ١٥س)، وأيضا: «وَتَعَالَيْ أَنْتِ يَا حَمَامَتِي فِي سِتْرِ الصَّخْرَةِ بِقُرْبِ السُّورِ، أَرِينِي وَجْهَكِ، وَأَسْمِعِينِي صَوْتَكِ، لِأَنَّ صَوْتَكِ بَدِيعٌ، وَوَجْهَكِ بَهِيٌّ» (نش ٢: ١٤ س).

ومن أجل ذلك فإنه يقول:«فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ، وَإِذَا زَمَنُكِ زَمَنُ الْحُبِّ. فَبَسَطْتُ ذَيْلِي عَلَيْكِ وَسَتَرْتُ عَوْرَتَكِ، وَحَلَفْتُ لَكِ وَدَخَلْتُ مَعَكِ فِي عَهْدٍ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَصِرْتِ لِي. فَحَمَّمْتُكِ بِالْمَاءِ وَغَسَلْتُ عَنْكِ دِمَاءَكِ وَمَسَحْتُكِ بِالزَّيْتِ، وَأَلْبَسْتُكِ مُطَرَّزَةً، وَنَعَلْتُكِ بِالتُّخَسِ، وَأَزَّرْتُكِ بِالْكَتَّانِ وَكَسَوْتُكِ بَزًّا، وَحَلَّيْتُكِ بِالْحُلِيِّ، فَوَضَعْتُ أَسْوِرَةً فِي يَدَيْكِ وَطَوْقًا فِي عُنُقِكِ، وَوَضَعْتُ خِزَامَةً فِي أَنْفِكِ وَأَقْرَاطًا فِي أُذُنَيْكِ وَتَاجَ جَمَالٍ عَلَى رَأْسِكِ. فَتَحَلَّيْتِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلِبَاسُكِ الْكَتَّانُ وَالْبَزُّ وَالْمُطَرَّزُ. وَأَكَلْتِ السَّمِيذَ وَالْعَسَلَ وَالزَّيْتَ، وَجَمُلْتِ جِدًّا جِدًّا فَصَلُحْتِ لِمَمْلَكَةٍ. وَخَرَجَ لَكِ اسْمٌ فِي الأُمَمِ لِجَمَالِكِ، لأَنَّهُ كَانَ كَامِلًا بِبَهَائِي الَّذِي جَعَلْتُهُ عَلَيْكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» (حز ١٦: ٨ – ١٣). حتى أنَّ الربَّ تنازل وتجسَّد لأجل هذا الجنس البشري آخذًا صورة عبد، وسار بينهم كواحدٍ منهم، هذا لكي يُغَيِّر الطبيعة البشريَّة الساقطة لتكون مُشابهة له في البرِّ

وقداسة الحق، ليخلق الإنسان خلقةً جديدة، ومِن ثمَّ ينال المواعيد العظمى والثمينة: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كو ٢: ٩).

كلُّ هذا حتى أنَّ: «المَفْدِيِّين، لأَنَّهُمْ بِالرَّبِّ سَيَرْجِعُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى صِهْيَوْنَ بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ أَبَدِيٍّ، لأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ابْتِهَاجٌ وَتَسْبِيحٌ، وَفَرَحٌ يُدْرِكُهُمْ. يَهْرُبُ الْوَجَعُ وَالْحُزْنُ وَالتَّنَهُّدُ» (إش ٥١: ١١س). ولقد أوجز مخلِّصنا الصَّالح قصَّة الحبِّ هذه، في مثالٍ توضيحي أيَّما إيضاح، ليُقرِّب الصورة لأذهاننا المتواضعة، فقال: «إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ ...» (لو ١٥: ١١ – ٣٢).

نحن أهل بيت الله وشركاء القدِّيسين:

القدِّيس أمبروسيوس أسقف ميلان (٣٣٩ – ٣٩٧م) هو أكثر مَنْ تأمَّل من الآباء متغنِّيًا بما في هذا المثل من معانٍ وأسرار، فقال:

[كما ترى – أيها الحبيب – أنَّ الميراث الإلهي يوهَب لِمَنْ يطلبون. فلا يجب أن تعتقد أن الأب كان مُخطئًا في إعطاء الابن الأصغر ذلك. فلا يوجد عمرٌ قاصر في ملكوت السموات، ولا يُقاس الإيمان بسنوات العمر، فإنَّ الذي طلب الميراث لو لم يُفارق أباه لَما أصابته شرور هذا الدهر، ولكن لمَّا فارقه وَضَعَ ذاته تحت حُكْم الملامة. وبعد أن عاش في الكورة البعيدة، ترك حضن الكنيسة وبذَّر ميراثه. ذلك يعني تركه حضن الأب، أكثر من تركه بيته المادي. بالتأكيد، فإنَّ مَنْ يفصل ذاته عن المسيح، يكون قد طرد ذاته من وطنه ليكون تائهًا في العالم. ففي الحقيقة، نحن لسنا غرباء ونُزلاء، لكن نحن أهل بيت الله وشركاء القدِّيسين: «وَلَكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ» (أف ٢: ١٣) وكذلك :«الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» (إش ٩: ٢). هناك بَوْن شاسع يفصل ظِلّ الموت عن حضن المسيح وظِلّه: «مَسِيحُ الرَّبِّ ... الَّذِي قُلْنَا عَنْه: "فِي ظِلِّهِ نَعِيشُ بَيْنَ الأُمَمِ"» (مرا ٤: ٢٠). ولهذا نحن نحيا في هذا النور في الكنيسة ونقول: «تَحْتَ ظِلِّهِ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَثَمَرَتُهُ حُلْوَةٌ لِحَلْقِي» (نش ٢: ٣)][1].

(1) Ambrose, *Exposition of the Gospel of Luke*, 7. 213-14; EHG 317-18.

الجميع مدعوون للتوبة:

أمَّا **القديس كيرلس الإسكندري** (٣٧٦ – ٤٤٤م) عامود الإيمان، وعظيم الآباء، المرتشد بروح الرُّسُل وتسليمهم، فإنه يشرح دافع الرب يسوع لسوق هذا المثل ومناسبته، فيقول:

[القدِّيس لوقا ذَكَر أمرًا بسيطًا بخصوص الربِّ يسوع المسيح في حديثه عن الكَتَبَة والفرِّيسيين الذين قد احتجُّوا على الربِّ بسبب لُطفه ومحبته للبشر. فهم بنيَّةٍ شرِّيرة ودافعٍ خبيث يلومون الرب لقبوله أُناسًا خطاة وتعليمهم، والأكل معهم. لكن الرب ضرب لهم المَثَل ليُبَيِّن أن الله خالق الجميع يطلب من المُثابِر والمُلتزِم والقدِّيس الذي بلغ أقصى مديح لعِفَّته ووقاره في سلوكه، أن يكون ذلك بكلِّ قلبه، لطاعة مشيئة الله الصالحة، ولا يدين أحدًا. فإن أيَّ أحدٍ مدعوٌّ للتوبة حتى لو كان سيء السُّمعة. أي إنهم كان يجب أن يفرحوا، لا أن يسمحوا لمشاعر الغيرة أن تتأجج نحو مَن هم ليسوا على مثالهم][٢].

مَنْ هو ذاك الذي التصق به الابن في الكورة البعيدة؟ يرى **القدِّيس أمبروسيوس،** أنه رئيس هذا العالم، فيقول:

[يُفسِّرون الخنازير بأنهم قطعان الشياطين المملوئين مرارة، عديمي الفضيلة، مع البشر التافهين، والكلمات المُتعالية لأولئك الذين لا يمكنهم فعل الصالحات، بسبب الفلسفات الخادعة، وطنين البلاغة وضجيجها، الذي يُظهِر الكبرياء والتَّباهي بالكلمات بلا فائدة. كلُّ تلك الأمور زائلة ولا تدوم][٣].

أحضان الآب السماوي مفتوحة لكلِّ تائب:

وبسبب خبرة **القدِّيس أُغسطين** (٣٥٤ – ٤٣٠م) في حياة التوبة، وذوقه صلاح الآب السماوي الذي فَتَح باب السماوات والنعمة له بعد سنين التيه في دروب الخطية، يُلقي الضوء على الصلاح غير المُتناهي للآب الذي يقبل الخاطئ بسخائه وكرمه، فيقول:

[إنَّ الابن الأصغر بعد أن أضاع ميراثَه بعيشٍ مُسرف في الكورة البعيدة، وأنت يا قدوس قد منحته كلَّ شيء بكرمك الفائض؛ كنتَ، بالحري، أكثر سخاءً عندما رجع إليك في فاقة وعوز. ورغم كونه تلوَّث في محيط الشَّهوات والخِزي، بل في عالم الظلمة، عندما تغرَّب عن حضرتك ومعيَّتك؛ إلَّا أنَّ كرمك وسخاءك وخيريَّتك، كان

(2) Cyril of Alexandria, *Commentary On Luke*, *Homily* 107; CGSL 433.

(3) Ambrose, *Exposition of the Gospel of Luke*; 7. 217 EHG 319.

أكثر كثيرًا بما لا يُقاس مِمَّا أعطيته في السابق][٤].

ما يقصده الروح القدس بالابن الأكبر والابن الأصغر؟

ولعلَّ الآباء والشُّرَّاح قد ذهبوا مشاربَ عدَّة في فهم: مَنْ هما الابنان، ومَنْ يقصد الروح القدس بالأكبر والأصغر. فيشرح **القدِّيس كيرلس الكبير** بعينَي التسليم الآبائي الرصين هذا الأمر، ويقول:

[يرى البعض أنَّ المَثَل يقصد بالابنين، الملائكة ونحن البشريين. فالأكبر الذي عاش بوقار وتقوى يُمثِّل مجمع السمائيين، أمَّا الأصغر المُبذِّر فهو نحن البشر. والبعض يُعطي شرحًا آخر: إنَّ الأكبر، وهو ذو السلوك الجيِّد، يُمثِّل إسرائيل بحسب الجسد؛ والآخر الذي فَضَّل أن يحيا في الشهوات والمسرَّات العالمية وضلَّ بعيدًا عن أبيه، يُمثِّل الأُمم. ونحن في الواقع لا نتفق مع هذا الرأي، فكيف نقول إن اسرائيل قد سلك بلا لوم أمام الرب، فعَبْر كل الكتاب نجد اسرائيل كان مُتمرِّدًا وغير طائع للربِّ دائمًا. وأيضًا فإنَّ العِجْل المُسمَّن هو الرب يسوع المسيح الذي ذبحه الآب لأجل إسرائيل. فهو، في الواقع، قد ذُبح لفداء إسرائيل، الذي لأجل معصيته وعدم طاعته قد جلب العار على نفسه][٥].

الذي يسكن فيه الروح القدس يتمتَّع بدالة البنوَّة:

أمَّا القدِّيس **مار فيلوكسينوس** (استُشهد عام ٥٢٢م) فيُفكِّر بصوتٍ عالٍ، متأملًا فيما دفع الابن الأصغر للرجوع والتوبة وتحمُّل الخِزي والألم وذلَّة الانكسار العلني، ليعود لبيت الأب الذي غادره بجرأة ووقاحة الكبرياء، وبريق الحرية الخادع، فيقول:

[كان الابن لا يزال خاطئًا إلى حدٍّ أنه بدَّد أدراج الريح كلَّ ميراثه الذي اقتنصه من أبيه، ناهيك عمَّا اقترفه من أفعالٍ مشينة، لكنه كان لا يزال يدعو الله أباه، مِمَّا يُبيِّن أن نعمة الرُّوح القدس التي دفعته ليدعو الله أبًا له لم تُفارقه.

إننا لا نجترئ أن ندعو الله أبًا لنا، ما لم يُعطِنا الروح القدس هذه الهِبة. ونحن نكتسب ذلك في سرِّ المعمودية الأقدس. فلا يسوغ لنا أن ندعوه «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ»، إلَّا بواسطة هذا الامتياز المُعطَى لنا. فإنَّ مَنْ لم يسكن فيه الروح القدس، لا يتمتَّع بدالة البنوَّة هذه][٦].

---

(4) Augustine, *Confession* 1018; FC 21: 28-29.

(5) Cyril of Alexandria, *Commentary On Luke Homily* 107; CGSL 432-33.

(6) Philoxenus of Mabbug, *On the indwelling of the Holy Spirit* 1; CS 101: 108-9.

فرحٌ في السماء بخاطئ واحد يتوب:

أمَّا **القدِّيس أثناسيوس الرسولي** (٢٩٥ – ٣٧٣م) فهو، عن حقٍّ، ثالث عشر الرُّسُل، وقد تشبَّع بالفكر الآبائي الأصيل والمُسلَّم من جيلٍ إلى جيل ومن فمٍ لأُذن؛ فبروح واحد، انطلق أولًا من الفم الطاهر لربِّ المجد يسوع، وتناقلته الأجيال، ليُذكِّرهم بكلِّ ما قاله وما سمعه من الآب السماوي؛ هكذا يشرح لنا تفاصيل الأحداث، وبكشفٍ روحاني خاص، يقول:

[ثم يقوم ويذهب إلى أبيه مُعترفًا له: «لَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا ...»، فباعترافه هذا، قد جعل نفسه أهلًا أن يأخذ أكثر جدًّا مِمَّا اعترف به منسحقًا. فالأب بالتبعية لم ينظر إليه كأجيرٍ أو عبدٍ أو غريب؛ بل بالأحرى قَبَّله كابن، وقَبِله كمَنْ كان ميتًا فعاش، وحسبه أهلًا للاحتفال السمائي، وردَّ إليه ثوبه الثمين الذي كان يلبسه فيما قبل؛ وهكذا صار غناء وفرح في بيت الأب. وكلُّ هذا هو نتيجة لصلاحه وغناه في الحبِّ ونعمته. فهو ليس فقط استردَّ ابنه ثانيةً إلى الحياة من الموت، لكن أيضًا قد أَظْهَر نعمته التي أسبغها على الابن بالروح. ومن أجل أن ينتشله من بؤسه، فقد كساه بالثوب الذي لا يبلى. وليُشبِع جوعه، فقد ذبح له العِجْل المُسمَّن. ولكي لا يعود للسير في طريق الضلالة ثانيةً، فقد منحه حذاءً لينتعله. أمَّا أعجب ما في الأمر، فهو منحه خاتمًا مُميِّزًا في يده. وبكلِّ هذه الأمور، فقد ردَّه إلى جِدَّة الحياة وجدَّد فيه صورة المجد التي للمسيح][٧].

صلاة وتوسُّل:

مستوعبًا كل هذا الزَّخَم الآبائيّ، ومشتعلة نفسُه بصدق أحاسيس الرُّوح، ومُعايشة نفسُه لدقائقِ الروايةِ الإنجيليَّة، فقد انغمرت نفس **الأب متى المسكين** بروح الصلاة، فانطلقت كلماتُه تُعبِّر عن أنين النَّفس البشريَّة الراجعة لحضنِ الآب، فقال:

"جئتُ إليك من تيه أيامي، فاقبلني إليك.
أضعتُ أيامي في اللهو والعبث، وازدادت همومي.
فيا رجاء حياتي، لا تتغاضَ عني، فإني أحبُّك، وقد أتيتُ إليك.
ليس لي عملٌ أقدِّمه، أو صلاة، أو تقدمة؛
فليتَ دموعي تُقبَل عندك، فهي ذبيحتي.
همومي ثقلت عليَّ، ولكني أنتظر خلاصك"[٨].

---

(7) Athanasius, *Festal Letter* 7; ARL 123.

(٨) الأب متى المسكين، "مع المسيح" – الكتاب الأول، الطبعة الثامنة: ٢٠١٧، ص ٢٧٨.

لماذا نُعيِّد للصليب؟

للقدِّيس يوحنا الذهبي الفم[1]

(٣٥٤ – ٤٠٧م)

١٩ مارس / ١٠ برمهات

أولًا: مجد الصليب وفخره:

اليوم، يا أحبَّائي، نُعيِّد ونحتفل، ولا نتعجَّب من أن الأمور التي تُسبِّب الضيق هي التي نحتفل بها، لأن الأمور الروحية تختلف عن الأمور الجسدية. فإن كان الصليب سابقًا علامةً على العقاب، فهو الآن اسمٌ للفخر والمجد. كان الصليب في السابق موضع عار وعذاب، أمَّا الآن فأصبح سبب مجدٍ وشرف. والربُّ يسوع يؤكِّد ذلك بقوله: «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ» (يو١٧: ٥). فالصليب هو قمة خلاصنا، وبواسطته صار المنبوذون والساقطون مقبولين في عداد الأبناء. بالصليب أصبح الذين كانوا يعبدون الأصنام يعرفون خالق الكل. بالصليب نال عبيد الخطية حرية الأبناء بالبرّ. به صارت الأرض سماءً، إذ تمَّم الله أمرًا يليق به تجاه البشر؛ وهكذا أقامنا من عمق الخطية، ورفعنا إلى قمة الفضيلة.

بالصليب هرب الشيطان مع قوات الشرّ. بالصليب تنضمُّ البشرية إلى محفل الملائكة. بالصليب أنارنا الرب نحن الجالسين في الظلمة. بالصليب خلَّصنا وصار لنا الفداء بالفعل. بالصليب بعد أن كُنَّا غرباء أصبحنا مواطنين سماويين. بالصليب لم نَعُد نخاف من سهام الشيطان، لأننا وجدنا ينبوع الحياة. به لم نَعُد خائفين من الذئب، لأننا عرفنا الراعي الصالح.

ثانيًا: لماذا نحتفل بالصليب؟

أرأيتَ كم هي فوائد الصليب؟ إذن، يحقُّ لنا أن نُقيم له عيدًا: «إِنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ (على الصليب) لأَجْلِنَا» (١كو ٥: ٧). ولأن المسيح ذُبح على الصليب، فحيث تكون الذبيحة يكون العِتق من الخطايا ومُصالحة مع الربِّ وعيدٌ وفرح.

---

(١) عن مجموعة الباترولوجيا اليونانية: P.G. 49: 393-398.
وقد ألقى القدِّيس ذهبي الفم هذه العظة يوم الجمعة العظيمة نحو سنة ٣٩٠م في كنيسة أنطاكية.

ثالثًا: المسيح هو الذبيحة والكاهن:

قيل إنَّ المسيح قد ذُبح من أجلنا على الصليب، المذبح الجديد المختلف عن أيِّ مذبح، لأن الذبيحة جديدةٌ ومختلفةٌ عن أيِّ ذبيحة. فالمسيح هو نفسه الذبيحة والكاهن بآنٍ واحد. فكونه ذبيحةً فبحسب الجسد، أمَّا كونه كاهنًا فبحسب الروح. وهو نفسه المُقدَّم والمُقدِّم، فـ «الْمَسِيحُ قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ» (عب ٩: ٢٨). أرأيتَ كيف صار المسيحُ ذبيحةً وكاهنًا معًا؟ وكيف كان الصليبُ مذبحًا له؟

رابعًا: لماذا صُلِبَ المسيح خارج المدينة ومرتفعًا على الصليب؟

تساءلتُ مراتٍ كثيرة عن سبب تَرْك أجدادنا الكنائس الموجودة في المدن واجتماعهم في كنائس خارج المدينة. إننا نُعيِّد للصليب، والربُّ قد صُلِب خارج المدينة؛ لذلك فنحن نذهب خارج المدينة، لأن الخراف تتبع الراعي، والقادة والجنود يوجَدون حيث يوجد الملك. وكما يقول بولس الرسول: «الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُدْخَلُ بِدَمِهَا عَنِ الْخَطِيَّةِ إِلَى "الأَقْدَاسِ" بِيَدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ تُحْرَقُ أَجْسَامُهَا خَارِجَ الْمَحَلَّةِ» (عب ١٣: ١١)؛ لذلك فلكي يُطهِّر المسيحُ العالمَ بدمه صُلِب خارج المدينة. إذن، فلنأتِ إلى المسيح خارج المدينة حاملين العار الذي قَبِله من أجلنا.

خامسًا: بالصليب فُتِحَ باب الفردوس:

أترغب في معرفة إنجازٍ عظيم آخر للصليب يفوق إدراك العقل البشري؟ ذلك أنَّ الفردوس الذي كان مُغلقًا قد فُتِح اليوم، لأن اللِّص اليمين دخل فيه: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لو ٢٣: ٤٣). وأنت مصلوبٌ، يا رب، تَعِدُ بالفردوس! كيف ذلك؟ «لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ صُلِبَ مِنْ ضَعْفٍ، لكِنَّهُ حَيٌّ بِقُوَّةِ اللهِ» (٢كو ١٣: ٤). فهو يقول: "إني أعِدُ بالفردوس من على الصليب، لكي تعرف قوَّة المصلوب عليه". الشيروبيم يحفظون الفردوس بسيفٍ ناري وأنت تَعِدُ اللِّص بدخوله! فيُجيب: "نعم، فأنا هو ربُّ الشيروبيم".

ها هي قوَّة المصلوب: فقد هزَّ أركان الطبيعة وشقَّق الصخور، من ناحيةٍ؛ وجعل نفس اللِّص التي كانت أقسى وأصعب من الصخر، تصير وديعة، من ناحيةٍ أخرى. أَلَا تقول لي: ما هو الذي أظهره اللِّص حتى يكون مستحقًّا للفردوس وليس للصليب؟ إنَّ الربَّ الذي أنكره بطرس الرسول، مع إنه لم يكن مصلوبًا في ذلك الوقت على الصليب، اعترف به اللِّص وهو معلَّقٌ على الصليب! فلنفحص كلَّ تلك الأمور لنتعرَّف على قوَّة الصليب. إنَّ اللِّص باعترافه بالمسيح المصلوب، قد سرق الملكوت! لقد قفز قفزةً واحدةً من الصليب إلى السماء!

الصليب رمزٌ لملكوت السموات:

من أين لك أن تعرف ملكوت السموات أيها اللّص؟ فإنَّ ما هو ظاهرٌ للعيان هو الصليب والمسامير والسخرية بالمصلوب! فيقول: "نعم، فالصليب هو رمزٌ لملكوت السموات، ولذلك فإنني أدعو المصلوب عليه مَلِكًا، مَلِكًا يموت من أجل رعاياه، لأنه قال: «الرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ» (يو ١٠: ١١)".

علامـة الصليب:

أتريد أن تعرف كيف أن الصليب رمزٌ لملكوت السموات؟ ذلك لأن المسيح عندما يأتي ثانيةً «تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ» (مت ٢٤: ٢٩و٣٠). أرأيتَ كيف أن علامة الصليب مُبهجةٌ ومُشرقة؟ فالشمس تُظلِم والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تتساقط؛ أمَّا علامة الصليب فهي وحدها تظهر، لكي تعلم أنَّ نورها أشدّ قوَّةً من الشمس وأبهج من القمر.

وكما يستقبل الجنود الملك عند دخوله إلى المدينة بالرايات المحمولة على أكتافهم مُعلنين دخوله؛ هكذا يحمل الملائكة ورؤساء الملائكة تلك العلامة عند مجيء الربِّ من السماء مُعلنين دخوله الملوكي إلينا نحن البشر. "وعندئذٍ تتزعزع قوات السموات" (انظر: مت ٢٤: ٢٩)، أي الملائكة وكل القوات غير المرئية، فيتملَّكها الخوف، لماذا؟ لأن الطبيعة البشرية بأسرها ستُحاكَم أمام منبر الله المهيب.

سيأتي الربُّ حاملًا الصليب والجراحات:

وسبب ظهور علامة الصليب مع المسيح في مجيئه الثاني، هو لكي يعرف صالبوه مقدار جحودهم، فالصليب يُظهِر تجاسرهم. وعند ظهور علامة ابن الإنسان في السماء: «حِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (مت ٢٤: ٣٠).

إنها ستنوح لأنها سترى الذي أُدين بسببها وتعي خطيَّتها. وحَمْل المسيح للصليب في مجيئه الثاني يعني أنه حاملٌ جراحاته، فيقول النبي: «سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ» (يو ١٩: ٣٧). حينئذ يُثبت الربُّ للجميع أنه هو الذي صُلِبَ كدليلٍ واضح على محبة الله للبشر!

كلمات الربِّ على الصليب:

إنَّ محبة الربِّ غير الموصوفة أيضًا تُرى في كلماته التي تفوَّه بها على الصليب، وأوَّلها: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣: ٣٤). إنه، وهو مصلوبٌ،

صلَّى من أجل صالبيه؛ أمَّا هم فهزءوا به قائلين: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!» (مت ٢٧: ٤٠)، ولكنه لم ينزل لأنه جاء لكي يُصلَب من أجلنا. وقد عمل ما هو أعظم من نزوله عن الصليب، فقيامته من الموت كانت أعظم من نزوله عن الصليب. كما إنَّ الصلاة من أجل الأعداء، هي أسمى من الصلاة من أجل الأحبَّاء!

لدينا خشبة الصليب بدلًا من الشجرة التي أكل منها آدم وحواء. وقد حارب الشيطانُ آدمَ وانتصر عليه بالقُرب من الشجرة، والمسيح انتصر على الشيطان فوق خشبة الصليب. هذه هي مآثر الصليب! فلنُرتِّل جميعًا ترتيلة النُّصرة: «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (هو ١٣: ١٤؛ ١كو ١٥: ٥٤ و٥٥).

الصليب الذي هو رمز النُّصرة على الشياطين، هو سكينٌ ضد الخطية، وسيفٌ طَعَن به المسيح الحيَّة (الشيطان). الصليب هو حامي القدِّيسين ونور كلِّ المسكونة. إنه كما يُضيء الإنسان مصباحًا ليطرد به الظلام؛ هكذا أضاء المسيح نوره بالصليب ورفعه عاليًا، لينقشع كلُّ الظلام الذي كان يُغطِّي الأرض!

لقد ارتعبت الخليقة عندما رأت الربَّ مُعلَّقًا على الصليب، والأرض تزلزلت، والصخور تشقَّقت؛ ولكن ضمير اليهود لم يَعترِه أيُّ تغيير. حجاب الهيكل انشقَّ، ولكن اتفاقهم الفاسد لم ينحلّ. ولماذا انشقَّ حجاب الهيكل؟ لأن الهيكل لم يقوَ على رؤية الربِّ مصلوبًا! وقد هُدِمَ الهيكل مع أورشليم كلّها سنة ٧٠ ميلادية!

إنَّ الدم الذي سال على الصليب، قد محا الصَّكَّ الذي كُتبت عليه خطايانا، فهو دمٌ يُطهِّر النفس من أدران الخطية، وبولس الرسول يقول: «إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ (أي في الصليب)» (كو ٢: ١٤و١٥)!

وكما إنَّ الملك الذي انتصر في معركةٍ عظيمة يضع فوق النَّصْب التذكاري الدِّرع والتُّرس وأسلحة العدو؛ هكذا فإنَّ المسيح الذي انتصر على الشيطان، قد علَّق عاليًا على الصليب أسلحة الشيطان، أي الموت واللعنة، لكي يرى الجميع – الملائكة والبشر والشياطين – هذا النَّصْب. له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس إلى أبد الآبدين، آمين.

دَمُ المسيح
كأس الخلاص، وهِبَة الحياة

• **«فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ، نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ!» (رو ٥: ٩).**

تمهيد:

منذ بدء حياة الإنسان على الأرض، سال دَمُ هابيل الصِّدِّيق، بَعد ما قَتَله قايين أخوه، وصَعِدَ صراخ دَمه إلى السماء، طالبًا الانتقام له، وجالبًا اللَّعنة لقاتله مِن الأرض التي شَرِبت دَم أخيه، والتي سَبَق أنْ لُعِنَت بسبب أبيه آدم: «... صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ» (تك ٤: ١١). ثُمَّ توالى انسكاب دَم الأنبياء والأبرار على أيدي قاتليهم، جالبًا الوعد بالقصاص من هؤلاء القاتلين وسافكي دمائهم على هذه الأرض الملعونة وساكنيها، وذلك كما نطق الربُّ يسوع نفسه قائلًا: «لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ» (مت ٢٣: ٣٥). وارتفعت أصوات دماء الشهداء صارخةً مُتعجِّلةً القصاص، وسرعة الانتقام والمُجازاة العادلة لسافكي دمائهم؛ كما وَرَدَ في سِفْر رؤيا القدِّيس يوحنا الرسول: «وَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: "حَتَّى مَتَى أَيُّهَا السَّيِّدُ الْقُدُّوسُ وَالْحَقُّ، لَا تَقْضِي وَتَنْتَقِمُ لِدِمَائِنَا مِنَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ؟"» (رؤ ٦: ١٠).

ثُمَّ جاء مِلء الزمان ووقت الخلاص، فَتجسَّد ابن الله، وذُبِح ومات على الصليب، وانسكبَ دَمه ناطقًا بالغفران والمُصالحة والتبرير: «فَقَالَ يَسُوعُ: "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ"» (لو ٢٣: ٣٤)؛ وذلك لأجل كلِّ خاطئ يؤمن ويتوب ويشتاق أن يَغتسل بهذا الدَّم الثمين. وتكرَّس هذا إعلانًا عن انتهاء زمان اللعنة والعار وانكساره عن الأرض، واغتسالها وتطهيرها بدم المسيح؛ لتصير موضعًا للبَرَكة، ومسكنًا للقدِّيسين: «وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (١يو ١: ٧).

دَمُ المسيح دَمٌ ملوكي، وَهَبنا كرامةَ البُنُوَّة لله، ومِيراثَ البنين:

أعطانا المسيح دَمَه لنَشربه، فَسَرَت فينا رائحة الحياة، ووُلِدنا مرَّةً ثانيةً خليقةً جديدة،

مولودة مِن الله. وجرى في عروقنا وأجسادنا دَمٌ إلهيٌّ غالٍ كثير الثَّمن!

ويُحكَى أنَّه في أثناء الحَرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥م)، أُصيب أحد الجنود، ونَزَفَ كثيرًا، وأشرَفَ على الموت، ما لم يَنَلْ جرعة مِن الدماء تُنقذ حياته، وكانت فصيلة دَمه من الفصائل النادرة، وقد عَرفَ الأطباء أنَّ هذه الفصيلة هي نفسها فصيلة دَم مِلكة البلاد في ذلك الوقت. فلمَّا عَلِمت الملكة بذلك، قرَّرت التبرُّع بدمها لإنقاذ حياة ذلك الجندي مِن الموت. وبعد انتهاء الحَرب أراد الجندي أن يُعبِّر عن امتنانه للمِلكة عن إعطائها مِن دمها من أجل أن تُنقذ حياته، فطَلب أن يُسمح له بمقابلتها للتعبير عن شكره، فسُمِح له. وعند اقتراب الجندي من الدخول إلى القصر الملكي، استرعاه وقوف حرس الشرف لاستقباله وتحيته، والانحناء قدَّامه باحترامٍ بالغ! فلمَّا استفسر عن سبب ذلك، قيل له: إنَّه الآن قد صار حاملًا **لدمٍ ملوكيٍّ** منقولٍ له من الملكة، وهو الذي **حَفِظ له حياته، وجَلَبَ له هذه الكرامة**. والحقيقة، أنَّ هذه التحيَّة كانت لتلك الدماء الثمينة الجارية في عروقه، والمنقولة له من الملكة!!

هكذا نحن أيضًا، قد صيَّرنا دَم المسيح، الذي يسري فينا، مِن قِبَل اتِّحادنا به بشركة سِرِّ الإفخارستيَّا المقدَّس، أولادًا للملك السمائي، وأعضاء أهل بيته، كما وَهَبنا ترياق الحياة الدائمة التي تشتهي الملائكة أن تَطَّلِع عليها، فصِرنا شركاءَ الطبيعة الإلهيَّة، ووراثين مع المسيح، وانطبق علينا قول يوحنا الرسول في سِفْر الرؤيا: «وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً للهِ أَبِيهِ» (رؤ ١: ٦)، وأيضًا: «وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً» (رؤ ٥: ١٠).

دَم المسيح علامة الصُّلح والتبرير والغُفران لكلِّ مَن يؤمن:

يَهتف بولس الرسول بالروح، شاهدًا عن المُصالحة الإلهيَّة التي تَمَّت بين الله الخالق وخليقته التي سَقطت، بقوله: «عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ» (كو ١: ٢٠). وعن تَحَقُّق هذه المُصالحة، يُخاطبنا بولس الرسول بالروح قائلًا: «صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ» (أف ٢: ١٣). فدم المسيح – الحَمَل الذي بلا عيب – قد صالحنا مع الآب السماوي، وصار لنا وثيقة عهد صُلحٍ وسلام معه، وأيضًا ما بين السمائيِّين والأرضيِّين، لأنَّنا قد تبرَّرنا بدم المسيح من خطايانا، بحسب ما كتب الرسول بولس: «مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ» (رو ٥: ٩)، وأيضًا: «فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلَا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عب ٩: ١٤). وكذلك يكتب يوحنا الرسول بالروح: «وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (١يو ١: ٧)، ويكتب أيضًا في سِفر الرؤيا عن تطهيرنا بهذا الدم فيقول: «غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ» (رؤ ١: ٥).

إذن، فدَم المسيح الذي انسكب على الصليب، والذي وَهَبنا إيَّاه في سِرِّ الإفخارستيَّا لكي يمتزج بدمائنا، هذا الدم قد صيَّرنا أهلًا للنجاة والخلاص وغفران الخطايا والتبرير الأبدي، هذا مِن ناحية.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ دَم المسيح المبذول عنَّا، يحمل في ذاته قوَّةً إلهيَّةً واهبة للحياة الأبديَّة، وسلطانًا إلهيًّا لعبور الموت، وهدمًا لأركان مملكة الشيطان، مثلما كان دَم الحَمَل الممسوح على العتبة العُليا والقائمتين لبيوت بني إسرائيل في مصر قديمًا، فقد كان الدَّم قادرًا على منع ملاك الموت من المساس بالساكنين بالداخل. وهكذا أيضًا، وأكثر جدًّا بما لا يُقاس، صار دَم المسيح مُنقذًا وحاميًا ومُنجِّيًا من الموت الأبدي، لكلِّ مَن احتمى به، وتناوله باستحقاقٍ، بعينَي الإيمان والثقة في فاعليَّته وقوَّته، واستحقَّ مِن قِبله النجاة ونَيْل الحياة الأبديَّة، وذلك بحسب وَعْد الربِّ يسوع نفسه: «مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يو٦: ٥٤)، وأيضًا: «... فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي» (يو ٦: ٥٧). وفي هذا يكتب القدِّيس أثناسيوس الرسولي قائلًا:

[لمَّا كان بنو إسرائيل يَذبحون الخروف غير الناطق، مات أبكار أعدائهم، لأنَّ الربَّ ضربهم. وأمَّا الآن، فإنَّنا نأكل الخبز النازل من السماء، أي كلمة الله الحيّ، فَيضمَحِلّ الموت حتى يسمعنا نهزأ به: "أين حُكمُكَ يا مَوْت؟!"][1].

الإفخارستيَّا إعلان الحضور الدائم لحياة المسيح وخلاصه في الكنيسة:

وَعَد الربُّ يسوع تلاميذه والكنيسة، قبيل صعوده بالجسد إلى السموات، بقوله: «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. آمِينَ» (مت ٢٨: ٢٠)، ويكتب بولس الرسول بالروح: «كَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلًا: "هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي"، فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ» (١كو ١١: ٢٥ و٢٦). ويكتب داود النبيّ بالروح: «مَاذَا أَرُدُّ لِلرَّبِّ مِنْ أَجْلِ كُلِّ حَسَنَاتِهِ لِي؟ كَأْسَ الْخَلَاصِ أَتَنَاوَلُ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو» (مز ١١٦: ١٢ و١٣).

وأخيرًا، يقول الكاهن في صلاة القدَّاس الإلهي (عن لسان المسيح):

[لأنَّ كلَّ مرَّةٍ تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تُبشِّرون بموتي، وتعترفون بقيامتي، وتذكرونني إلى أنْ أجيء].

---

(١) القديس أثناسيوس الرسولي، "الرسالة الفصحيَّة الرابعة والعشرون".

والخُلاصة هنا، أنَّ الربَّ بتقديمه جسده ودمه الأقدسين، في سِرِّ الإفخارستيَّا، لكي نتَّحِد بهما، ثُمَّ بتأكيده أنَّ هذه الذبيحة المقدَّسة – غير الدمويَّة – هي تذكار حياته وموته المُحيي وقيامته وصعوده، وأيضًا هي عربون نَيْل غُفران الخطايا والحياة الأبديَّة؛ فهو بذلك قد أكَّد لنا حضوره الدائم، من بعد صعوده، وأنَّ هذه الذبيحة المقدَّسة هي حضورٌ حيٌّ وفعليٌّ له، وامتدادٌ لحياته وآلامه وفدائه وقيامته المجيدة، وذلك وفقًا لِمَا يقوله الكاهن في القدَّاس:

[ففيما نحن أيضًا نصنع ذِكرى آلامه المقدَّسة، وقيامته من بين الأموات، وصعوده إلى السموات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب؛ نُقرِّب لك قرابينك، من الذي لك، على كلِّ حالٍ، ومِن أجل كلِّ حالٍ، وفي كلِّ حال] (القدَّاس الإلهي).

لذلك صارت شركتنا في هذه الذبيحة، وتناولنا منها، هي أَصدَقَ تعبيرٍ عن أَبلغِ شُكرٍ واعترافٍ وشهادةٍ مِنَّا، على إيماننا بأنَّ هذه الذبيحة هي مأكلٌ حقٌّ ومشَرَبٌ حقٌّ. وأيضًا، صارت الإفخارستيَّا لنا هي أعظم وأقوى كرازة حَيَّة نقوم بها، شهادةً لمُخلِّصنا المصلوب والقائم من بين الأموات، وإحياءً مِنَّا لديمومة حياته وخَلاصِه إلى مدى الأيام.

وختامًا نقول، إنَّ شركتنا في ذبيحة الإفخارستيَّا المقدَّسة، هي القادرة على جمع أبناء الله المُتفرِّقين إلى واحد؛ لأنَّها تحمل في ذاتها قوَّة صاحبها (أي المسيح)، وقدرته على إتمام هذه الوحدة بين كلِّ مَن يتناولها، لأنَّه هو وحده مَنْ يقدر أن يُوحِّد كلَّ أعضاء الجسد الواحد (أي الكنيسة) لتَصير واحدًا معه، وهو نفسه رأس الكنيسة ومُخلِّصها، الذي افتداها بدمه الكريم، ووحَّدها معه، واختارها عروسًا مقدَّسةً له. وعن هذا يكتب القدِّيس أثناسيوس الرسولي:

[لأنَّنا حينما نتناول جميعًا منه هو بعينه، نصير جسدًا واحدًا، إذ يكون الربُّ فينا] (ضدَّ الأريوسيين ٢: ٢٢).

كما يكتب القدِّيس أنبا مقار، مُشيرًا إلى أنَّ شركة الأعضاء في تناول دَم المسيح، تجعله يسري فينا بروحه الواحد، ليُقدِّسنا ويبثَّ روح الأُلوهة الواحد في كلِّ واحدٍ مِنَّا، فيقول:

[فكما إنَّ الذي يَشرب الخَمر يَتغلغل الخَمر في جميع أعضائه، فتكون الخَمر فيه وهو في الخَمر، هكذا مَن يشرب دم المسيح. لأنَّ روح الأُلوهة يَتغلغل في النَّفس الكاملة، والنَّفس أيضًا تكون فيه (في روح الأُلوهة)؛ وهكذا حينما تتقدَّس النَّفْس تتأهَّل لمُلازمة الربِّ، لأنَّ الرسول يقول: «وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا»] (عظة ٢٢: ٤ – ٦، "من مجموعة العظات الـ ٦٤ للقدِّيس أنبا مقار").

دراسات كتابيَّة

«دَانَ الخَطِيَّةَ فِي الجَسَدِ»

(رو ٨: ٣)

(٢)

تكلَّمنا في العدد السابق (فبراير ٢٠٢٥، ص ٤٢ – ٤٨) عن المحور الأول الذي قدَّمه بولس الرسول في الأصحاحات الثمانية الأولى من رسالة رومية وهو: شقاوة الإنسان، والمحور الثاني وهو: خلاص المسيح. وسنتكلَّم في هذا العدد عن المحور الثالث.

المحور الثالث: نَيْل الإنسان للخلاص

هذا الخلاص العظيم الذي وهبه الله للإنسان في المسيح يسوع، هو خلاصٌ مجَّانيٌّ، أي لا يَستلزم أعمالًا صالحةً لكي يُنال. فالبِرُّ المُعطَى للإنسان في المسيح هو برٌّ آخرُ تمامًا غَيْر البرّ الذي كان يُجاهد من أجله إنسانُ النَّاموس. فبينما هذا الأخير لا يُحسَب بارًّا إلَّا إذا حفظ الناموس وأوامره بدقَّة، نجد أنَّ البِرَّ في المسيح لا يُشتَرى بالأعمال الصالحة، بل يوهَب مجَّانًا. فقط ما يُطالَب به الإنسان هو أن يؤمن، فيعتمد، ثمَّ يسلك في البرِّ الذي ناله. هذه هي الأركان الثلاثة التي تُقدِّمها رسالة رومية لنَيْل الخلاص والحياة بمقتضاه: الإيمان، والمعمودية، والسُّلوك في المسيح.

الإيمان:

رغم أنَّ إنجيل الله الآب، الذي هو إنجيل ابنه يسوع المسيح، هو قوَّةُ الله، لكن هذه القوَّة تشترط إيمان الإنسان لكي تُخَلِّصه. وهكذا يكون الإيمان هو باب الخلاص وباب الحياة. بِرُّ الله الذي أُعلِنَ في الإنجيل، والذي يُقَدَّم للإنسان مجَّانًا بدون أعمال النَّاموس، يُنال بالإيمان. هو بِرٌّ «بِإِيمَانٍ لإِيمَانٍ» (رو ١: ١٧). أمَّا عن موضوع الإيمان، فهو شخص ربِّنا يسوع المسيح. إذًا، برُّ الله مَعروضٌ على كلِّ أحد، وينالُه مَنْ يؤمن بيسوع المسيح: «بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رو ٣: ٢٢). الإيمان بيسوع المسيح الآتي في الجسد وهو ابنُ الله الوحيد، والإيمان بكلِّ ما صنعه في جسده، لا سيَّما بالكفَّارة المُقدَّمة بدمِهِ، أي بصليبِهِ (قا: رو ٣: ٢٥)، بل أيضًا بقيامتِهِ المجيدة (قا: رو ٤: ٢٤، ٢٥). هذا هو

ما يُطلِق عليه بولس الرَّسول «نَامُوس الإِيمَانِ» (رو ٣: ٢٧)، في مقابل ناموس موسى أي «نَامُوس الأَعْمَالِ». وهذا لا يُمَثِّل تناقُضًا في تدبير الله، لأنَّ برَّ إبراهيم كان أساسًا برًّا مبنيًّا – لا على الأعمال – بل على الإيمان؛ بل إنَّ برَّه ليس شيئًا آخر سوى إيمانه (قا: رو ٤: ٩).

المعموديَّة:

هذه النعمة المُفاضة على كلِّ مَنْ يؤمن، نعمة التبرير والخلاص والفداء والمُصالحة مع الله، تصير فعَّالةً حيَّةً ومُحيِيَةً في المؤمن بواسطة المعموديَّة. نعم، لقد نال مَنْ آمَن بيسوع المسيح الخلاص، لكن قوَّة هذا الخلاص ومفعوله يستلمها بالمعموديَّة. كيف هذا؟ في هذه اللَّحظة من الزَّمان الَّتي فيها اتَّخذ الابن الوحيد جسدًا مُماثلًا تمامًا لأجسادنا وقابلًا للموت[١]، للوقت لاشَى منه الفساد بقوَّة أُلوهيَّته، وهكذا صار جسده – في آنٍ واحدٍ – قابلًا للموت وغير قابل للفساد، وهذا ما سوف يُحَتِّم قيامته بعد موته[٢]. لكنَّ العَجَبَ الذي حدث هو أنَّ عدم الفساد هذا قد امتدَّ لكلِّ البشريَّة: "إذ اتَّحد ابنُ الله عديم الفساد بالجميع بطبيعةٍ مُماثلة، فقد ألبس الجميع عدم الفساد"[٣]. غَيْر أنَّ ما يَهُمُّنا هنا – على الأخصّ – هو موتُ الربّ، الذي به وفيه قد مات الجميع. هذا هو ما يقوله صراحةً الرسول في موضعٍ آخر: «إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذًا مَاتُوا» (٢كو ٥: ١٤)، وهو ما يُردِّد صداه القدِّيس أثناسيوس الرسولي بقوله: "إنَّه في جسد الرب قد تمَّ موت الجميع"[٤].

لكنْ عن أيِّ مَوْتٍ نتحدَّث؟ وهذا السؤال هو لُبُّ الحديث. ليس عن مجرَّد موت الجسد؛ بل بالأكثر وبالأحرى جدًّا، عن موت الخطيَّة، أي الموت بالنسبة للخطيَّة: «الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ» (رو ٦: ١٠). وإذ صرنا نحن شركاء موته، يُخاطبنا الرسول بعدها مباشرة، قائلًا: «احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ» (رو ٦: ١١). فنحن قد «مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ» (رو ٦: ٢). لكن كيف تمَّ هذا؟ كيف قَبِلنا هذه الشَّركة في موته عن الخطيّة؟ أوَّلا – كما قلنا – بالإيمان، ثم تاليًا بالمعموديَّة: "إنَّنا متنا على صورتَين أو

(١) انظر: القدِّيس أثناسيوس الرسولي، "تجسُّد الكلمة"، ٨: ٢، ٤؛ ٩: ١.
(٢) شرحه، ٢٠: ٤.
(٣) شرحه، ٩: ٢.
(٤) شرحه، ٢٠: ٥.

بفعلَين: فعل الموت مع المسيح على الصَّليب يوم مات، وفعل الموت والدَّفن مع المسيح في المعموديَّة يوم العماد"[٥]. وهكذا يقول الرسول: «كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ» (رو ٦: ٣).

السُّلوك:

كلُّ هذا الخلاص يستلزم السلوك بمقتضاه: «نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟» (رو ٦: ٢). هنا تسطع مُشرقةً قوَّةُ الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البرِّ وقداسة الحق (أف ٤: ٢٤). هذه القوَّة هي هي قوَّة قيامة المسيح: «كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ» (رو ٦: ٤). يقول الأب متَّى المسكين عن علاقة الإنسان الجديد بالقيامة: "لمَّا قام المسيح من بين الأموات، قام بجسده هو هو، ولكن في وضعه الجديد الذي لا يسود عليه الموت بعد، كنموذج كامل للخليقة الجديدة. هو ليس من الخليقة الجديدة، ولكن الخليقة الجديدة منه، فهو خالقها في نفسه من أجلنا لكي يمنحها لنا بالميلاد الجديد بالروح القدس في سرِّ المعمودية"[٦]. علينا، إذًا، بحقِّ إيماننا ومعموديَّتنا أن نَحسب أنفسنا حقيقةً أمواتًا عن الخطيَّة، أو أمواتًا بالنسبة للخطيَّة: «احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ» (رو ٦: ١١). أي إنَّه بالصليب والمعموديَّة، ليست فقط الخطيَّة هي التي ماتت بالنسبة لنا، بل نحن أيضًا قد مُتنا بالنسبة لها. من أجل هذا يحقُّ لنا أن نقول على غرار ما قاله بولس الرسول في موضعٍ آخر: إنَّه بالصليب قد صُلِبَت الخطيَّة لنا ونحن قد صُلِبنا للخطيَّة (قا: غل ٦: ١٤).

عَوْدٌ على بَدْءٍ

- «اللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (رو ٨: ٣).

على ضَوء عَرْضِنا باختصارٍ لمفهوم الخلاص والفداء، كما أورده بولس الرَّسول في الأصحاحات الأولى من رسالة رومية، نعود الآن للآية محلّ دراستنا لنرى كيف يمكننا أن نفهمها في هذا الإطار: «اللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، حَكَمَ عَلَى

(٥) الأب متّى المسكين، "شرح رسالة القدِّيس بولس إلى أهل رومية"، ٦: ١ و٢، ص ٢٩٤.
(٦) "القيامة والصعود"، الطبعة الخامسة: ٢٠١٤، ص ٧٩.

الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (رو ٨: ٣). أوَّلًا ما المقصود بتعبير «شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ»؟ مِن الشائق أن نفهم "شِبْه (ὁμοιώματι) جسد الخطية" الذي أخذه المسيح والذي فيه حَكَمَ على الخطية بالموت، في ضوء موضعٍ آخر في نفس الرسالة إلى رومية وردت فيه هذه الكلمة "شِبْه (ὁμοίωμα)"، وذلك حينما قال الرَّسول إنَّنا في المعموديَّة نصير متَّحدين مع المسيح «بشِبْهِ (ὁμοιώματι) موته» (رو ٦: ٥). فلقد قلنا سابقًا إنَّ الجسد الذي أخذه المسيح، بمجرَّد اتِّحاده بألوهيَّته – وهذا حدث من أوَّل لحظة تكوينه، إذ مذ ذاك لم يكن هناك زمنٌ ما لم يكن فيه الجسد متَّحدًا باللَّاهوت – قد تقدَّس بل تألَّه، أي انفصل تمامًا عن الخطيَّة، وفيما عدا هذا، كان جسدًا مُماثلًا لأجسادنا في كلِّ شيء. وقلنا كذلك إنَّ الموت الذي ماته المسيح على الصليب، بعد حَمله في جسده خطايانا على الخشبة[٧]، كان موتًا عن الخطيَّة، والمقصود خطايانا نحن التي حملها هو بإرادته، أمَّا هو فقد بَقِيَ بلا خطية. لذلك في هذا الموضع الذي فيه يتحدَّث الرَّسول عن اتِّحادنا مع الرَّب في موته، قال إنَّنا اتَّحدنا معه «بِشِبْهِ مَوْتِهِ» (رو ٦: ٥)، مُستخدِمًا نفس الكلمة الذي سيستخدمها فيما بعد بخصوص «شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ» الذي أخذه الرب. فماذا يقصد هنا؟

يمكن أن نرى هنا تناظُرًا في المعنى بين التَّعبيرَين: «شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ»، و«شِبْهِ مَوْتِهِ». فكما إنَّ حقيقة أنَّ الجسد الذي أخذه المسيح هو جسدٌ مماثلٌ لنا تمامًا في كلِّ شيء لا تمنع أنَّه بلا خطيَّة (ولهذا قيل «**شِبْهِ** جَسَدِ الْخَطِيَّةِ»)، هكذا كوننا مُتنا مع المسيح بالمعنى الروحي لا يعني أننا قد مُتنا معه في الجلجثة بالمعنى الحرفيّ (ولهذا قيل «**شِبْهِ** مَوْتِهِ»)؛ وكذلك من الناحية الأُخرى، كما إنَّ حَمْلَ المسيح لخطايانا في جسده على الصَّليب لم يكن تمثيليَّة ولا رمزًا بل حقيقةً رهيبةً، حتَّى قيل إنَّه صار هو نفسُهُ خطيَّة[٨] (ولهذا قيل: «شِبْهِ **جَسَدِ الْخَطِيَّةِ**»)؛ هكذا أيضًا كوننا نتَّحد مع المسيح في المعموديَّة ليس هو رمزًا ولا طقسًا، بل فعلًا حقيقيًّا عميقًا، حتَّى قيل إنَّ مَنْ اعتمد للمسيح فقد لَبِسَ المسيح[٩] (ولهذا قيل: «شِبْهِ **مَوْتِهِ**»). فهذه الكلمة "شِبْه" استخدمها بولس الرسول للتعبير عن أمرَيْن مُتماثلَيْن جدًّا، لكن ليس إلى حدِّ التَّطابُق: فجسد

(٧) قا: ١بط ٢: ٢٤.
(٨) قا: ٢كو ٥: ٢١.
(٩) قا: غل ٣: ٢٧.

المسيح ليس "جسد الخطيَّة"، حاشا، بل "شِبْهُهُ"؛ وموتنا مع المسيح في المعموديَّة ليس هو موته بالمعنى الحرفيّ، بل "شِبْهُهُ". ويلزمنا أيضًا أن نُدرك أنَّ هذين الفعلَيْن (أَخْذُه شِبْهَ جسدِ خطيَّتِنا، وشَرِكتُنا في شِبْهِ موتهِ) مرتبطان أحدهما بالآخر ارتباطًا وثيقًا: فمن ناحيةٍ، الأوَّل كان شرطًا للثاني، أي **لأنَّ** المسيح أَخَذَ شِبْهَ جسد الخطيَّة، استطعنا نحن أن نشترك في شِبْه موته؛ ومن النَّاحية الأخرى، الثَّاني كان هدفًا للأوَّل، إذ إنَّ الرَّبَّ رَضِيَ أن يأخذ شِبْهَ جسد الخطيَّة **لكي** يُشرِكنا في شِبْه موته. وبالاختصار، فإنَّ اشتراكنا في «شِبْهِ مَوْتِهِ» وبالتَّالي خلاصنا، كان هو «السُّرُور الْمَوْضُوع أَمَامَهُ» (عب ١٢: ٢)، الذي من أجله احتمل أن يأخذ «شِبْهَ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ».

نقطة أخيرة نُشير إليها هنا، وهي الارتباط الذي نجده في هذه الآية بين الحُكْم على الخطيَّة بالموت، وبين التجسُّد. فلم يربط الرسول موت الخطيَّة بموت المسيح على الصليب، بل بالتجسُّد، إذ قال: «اللهُ إِذْ **أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ،** وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، **حَكَمَ عَلَى الْخَطِيَّةَ** فِي الْجَسَدِ» (رو ٨: ٣).

فكيف يمكننا أن نُفسِّر هذا؟ هنا نُشير في عجالةٍ إلى مفهومٍ هامٍّ نجده هنا عند بولس الرَّسول في رسالته إلى رومية، ونجده كذلك عند آباء الكنيسة الأوائل، وعلى الأخصِّ آباء كنيسة الإسكندريَّة، وهو ما يُدعَى بـ"التَّجسُّد الخلاصيّ". ما معناه؟ معناه اعتبار التَّجسُّد بكلِّيَّته، بكلِّ ما حوى من أفعالٍ خلاصيَّة، كعملٍ واحدٍ قد تمَّ من أجل خلاص الإنسان، فدون الإقلال في شيءٍ من قيمة الصليب والكفَّارة والفداء بالمعنى المعروف، فإنَّ إدانة الخطيَّة، أو الحُكْم عليها في الجسد بدأ أصلًا بالتَّجسُّد. مجرَّد أَخْذ المسيح لجسدنا هو بحدِّ ذاته حُكْمٌ على الخطية بالموت؛ بل هو بحدِّ ذاته نَيْلنا نحن هذه النِّعمة، وإنْ كان تكميل ذلك على مستوى الزمن قد تمَّ بالصليب والقيامة وشركتنا فيهما.

وهكذا نجد في هذه الآية الصغيرة المحاور الثلاثة التي ذكرناها في بدء حديثنا. فحالة الإنسان بدون المسيح يُمثِّلها تعبير "جَسَدِ الْخَطِيَّةِ»، وخلاص الله في المسيح يُمثِّله الحُكْم على الخطيَّة بالموت، أمَّا السلوك بمقتضى هذا الخلاص، فنجده في بقيَّة الأصحاح الثامن من رسالة رومية، وهو ما يُعبَّر عنه بـ"اهتمام الروح" أو "الحياة حسب الروح"، أو "إماتة أعمال الجسد بالروح"، الأمر الذي يَجدر إفراد حديثٍ خاصٍّ له.

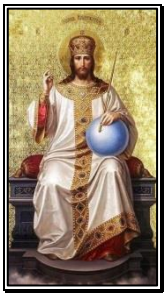

من
التراث الكنسي

معرفة الله
كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة
من خلال المسيح[١]
(١٧)

ꕥ ✠ ꕥ

(١) الله اتَّخذ قراره عن طريق تجسُّد ابنه الوحيد:

أشار د. رايت Dr. N. T. Wright (باحث في العهد الجديد)، إلى أنَّه هناك لحظة فارقة فى التَّاريخ، عندما سمح الله الآب أنْ يُصْلَب المسيح:

"سمح المسيح لنفسه أنْ يتعرَّض للمُحاكمة، والعذاب، والسِّجن، والصَّلب، والموت؛ وهو فَعَل ذلك على الصليب لكي يُظهِر حبَّه لنا. في المسيح أصبح الراعي هو الحَمَل الذبائحي! بالنِّسبة للمسيحيِّين، فإنَّ يسوع هو الإعلان الأسمى لله"[٢].

(٢) هل نستطيع معرفة الله مِن خلال "ملاك" أو "نبيٍّ آخر"؟

أَفْضل إجابة لهذا السؤال تأتينا مِن أقوال آباء البريَّة. فيحكي أحد الأباء عن راهبٍ زاره ملاك، فيقول:

"واحدٌ مِن الإخوة زاره شيطان في هيئة ملاك مِن نور، وقال له "أنا الملاك جبرائيل وأُرسلتُ إليكَ". لكن الأخ قال له: "فكِّر مرَّةً أخرى، فربَّما تكون قد أُرسلتَ لشخصٍ آخر، فأنا لم أفعل أيَّ شيءٍ لأستحقَّ ظهور ملاك". وفي الحال اختفى الشَّيطان وتوقَّف عن الظهور".

يُخبرنا القدِّيس بولس الرَّسول أنَّ الشَّيطان يفرح في ظهوره كملاكٍ مِن نور لكي يخدعنا، فلو ظَهَر كشيطان، مَن سيسمع له؟ فمعظم النَّاس سوف تهرب مِن وجوده.

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy.*

(2) N. T. Wright, *Simply Christian*. San Francisco CA. 2006.

لقد فعل الشَّيطان هذا كثيرًا فى التَّاريخ، فقد ظهر في المثال المذكور مُدَّعيًا أنَّه الملاك جبرائيل. وفي هذه الحالة قدَّم هذا الذي يدَّعي أنَّه ملاكٌ إعلانًا عن الله كان بمثابة إنكار كامل لإعلان الله مِن خلال ابنه يسوع.

لهذا السَّبب لم يثق آباء الكنيسة فى رؤى وزيارات "الملائكة" مُعتبرين إيَّاها إعلاناتٍ شيطانيَّة.

فوفقًا لتعاليم الكتاب المقدَّس والكنيسة، كان القدِّيس يوحنا المعمدان آخر نبي حقيقي لله. وبعد القدِّيس يوحنا، فإنَّ أيَّ شخصٍ آخَر يدَّعي أنَّه "نبيٌّ"، ويأتي بوحيٍ جديد، فهو يكون نبيًّا كاذبًا، وليس مِن الله. يسوع المسيح كان ولا يزال هو الإعلان النِّهائي عن الله. هو وليس آخَر سواه: **«الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ»** (يو ١٤: ٦).

(٣) نبوءات كتابيَّة مُتعلّقة بمجيء يسوع:

عندما اختار الله الآب أنْ يُرسل ابنه الوحيد المسيح الحقيقي true Messiah إلى العالم، فقد أَعلَن ذلك منذ مئات السِّنين قبل مجيء يسوع. فقد أعلن الله الآب عن مجيء المسيح وتمَّ التنبُّؤ به بتفاصيل كثيرة مِن الله خلال أنبياء العهد القديم، لكي إذا ما جاء يسوع المسيح، لا يكون مجيئه إلى العالم مُبْهَمًا وفي ظلام، بل يكون مِن الممكن التعرُّف عليه كاستعلانٍ حقيقيٍّ لله.

وفيما يلي بعض النبوءات العديدة عن مجيء المُرسَل من الله الحقيقي أي المسيَّا:

+ أنْ يكون من عائلة داود (مت ٢٢: ٤٤، مر ١٢: ٣٦، لو ١: ٦٩ – ٧٠، ٢٠: ٤٢ – ٤٤، يو ٧: ٤٢، ٢صم ٧: ١٢ – ١٦، مز ٨٨ (٨٩): ٣ – ٤، ١٠٩(١١٠): ١، ١٣١(١٣٢): ١١، إش ٩: ٦ – ٧، ١١: ١).
+ أن يولد من عذراء (مت ١: ٢٣، إش ٧: ١٤).
+ أنْ يولد فى بيت لحم (مت ٢: ٦، يو ٧: ٤٢، ميخا ٢: ٥).
+ أنَّه سيتغرَّب في أرض مصر (مت ٢: ١٥، هوشع ١١: ١).
+ أنَّه يعيش في الجليل (مت ٤: ١٥، إش ٩: ١–٢).
+ أنَّه يعيش في النَّاصرة (مت ٢: ٢٣، إش ١١: ١).
+ أنَّ مجيئه سيُعْلَن عن طريق نبيٍّ سابق كمبعوثٍ مثل إيليا (مت ٣:٣، ١١: ١٠–١٤، مر١: ٢–٣ ، لو ٣: ٤–٦، ٧: ٢٧ ، يو ١: ٢٣ ، إش ٤٠: ٣–٥ ، ملا ٣: ٤، ١: ٥).

+ أنَّ مجيئه سيتسبَّب فى مذبحة أطفال بيت لحم (مت ٢: ١٨، تك ٣٥: ١٩–٢٠، ٤٨: ٧، إر ٣١: ١٥).
+ أنَّه سيُعلِن ويُنادي بسنة الرَّبِّ المقبولة (اليوبيل) للعالم (لو ٤: ١٨ – ١٩، إش ٥٨: ٦، ٦١: ١).
+ أنْ تشمل رسالته الأمم (مت ١٢: ١٨–٢١، إش ٤٢: ١٤).
+ أنْ تكون خدمته خدمة شفاء (مت ٨:١٧ ، إش ٥٣ :٤).
+ أنْ يُعلِّم بأمثال (مت ١٣ :١٤–١٥، ٣٥، إش ٦: ٩–١٠، مز ٧٧ (٧٨): ٢).
+ أنْ لا يؤمِن به الرُّؤساء ويرفضونه (مت ١٥: ٨–٩، ٢١: ٤٢، مر ٧: ٦–٧، ١٢: ١٠–١١، لو ١٠: ١٧، يو ١٢: ٣٨–٤٠، ١٥–٢٥، مز ٦٨ (٦٩): ٤، ١١٧ (١١٨): ٢٢، إش ٦: ١٠، ٢٩، ٢٩: ١٣، ٥٣: ١).
+ أنْ يدخل منتصرًا إلى أورشليم (مت ٢١: ٥، يو ١٢: ١٣–١٥، إش ٦٢: ١١، زك ٩:٩، مز ١١٧ (١١٨): ٢٦).
+ أنْ يكون راعيًا مُبْتَلًى ومضروبًا (مت ٢٦: ٣١، مر ٢٧: ١٤، زك ١٣: ٧).
+ أنْ يُسلَّم بيد صَديق مقابل ثلاثين مِن الفضَّة (مت ٢٧: ٩–١٠)، يو ١٣: ١٨، زك ١١:١٢–١٣، مز ٤٠ (٤١): ٩).
+ أنْ يموت مع أشرار (لو ٢٢: ٣٧، إش ٥٣: ٩، ١٢).
+ أنْ يدفنه رجلٌ غني (إش ٥٣: ٩، مت ٢٧: ٥٧–٦٠).
+ أنْ يُسقَى مُرًّا وخلًّا (مت ٢٧: ٣٤، يو ١٩: ١٩، مز ٦٨ (٦٩): ٢١).
+ أنْ يقترعوا على ثيابه (يو ١٩: ٢٤ ، مز ٢١ (٢٢): ١٨).
+ بل وحتَّى كلماته الأخيرة تمَّ التَّنبُّؤ بها (مت ٢٧: ٤٦، مر ١٥: ٣٤، لو ٢٣: ٤٦، مز ٢١ (٢٢): ١، ٣٠ (٣١): ٥).
+ وأنَّ لا تُكْسَر عظمة مِن عظامه (يو ١٩: ٣٦، خر ١٢: ٤٦، عد ٩: ١٢، مز ٣٣ (٣٤): ٢٠).
+ وأنْ يُطْعَن في جنبه (يو ١٩: ٣٧، زك ١٢: ١٠، مز ٢١ (٢٢): ١٦).
+ وأنَّه يقوم مِن بيْن الأموات في اليوم الثَّالث (مت ١٢: ٤٠، لو ٢٤: ٤٦). وإن كانت لا توجد فقرة صريحة مِن العهد القديم قيلت عن هذا، ولكن المسيح نفسه تنبَّأ عن ذلك، وبالتَّأكيد تمَّ تسجيل أنَّه سيقوم مِن بين الأموات في سِفْر أعمال الرُّسل

٢: ٢٥–٣٢، ١٣: ٣٣–٣٥، ومُقْتبس من مزمور ١٥ (١٦): ١٠–١١.

+ قال الرَّبُّ يسوع إنَّه كُتِب أنَّه سيقوم في اليوم الثَّالث (لوقا ٢٤: ٤٦)، ولا بد أنَّه كان يدور فى ذهنه هوشع ٦: ٢ ويونان ١: ٧، وإطلاق سراح إسحق مِن الموت في اليوم الثَّالث (تكوين ٢٢: ٤).
+ وأنَّ رفضه سيتبعه تدمير أورشليم وضيقة عظيمة (مت ١٥: ٢٤، مر ١٤: ١٣، لو ٢٠: ٢١، دا ٩: ٢٧، ١١: ٣١، ١٢: ١).
+ وقد أدرك يسوع نفسه أنَّه بموته كان يُتمِّم الكُتُب المقدَّسة (مت ٢٦: ٥٤، ٥٦).

عندما تربط كلَّ هذه النِّقاط (من النبوءات)، ستجد – في الحقيقة – أنَّ يسوع ليس مجرَّد نبيٍّ آخَر، لكنَّه هو الإله الحقيقي الوحيد المساوي للآب والرُّوح القدس في الجوهر.

(٤) المُعيَّنون مِن أنفسهم، والمُعيَّنون مِن الله:

هكذا لم يُعَيِّن الرَّب يسوع نفسه نبيًّا مِن الله كما فعل غيره مِن الأنبياء الكَذَبَة، ولكنَّه كان مُعيَّنًا مِن قِبَل الله.

عندما ظهر الملاك جبرائيل للعذراء مريم في الرُّؤيا ليُبلِّغها أنَّها سوف تحبل بالمسيح، كانت كلُّ نبوءات العهد القديم تأخذ مجراها لتتحقَّق. لم يظهر الملاك جبرائيل لشخصٍ واحدٍ سرًّا فيما كان ذلك الشَّخص نائمًا ليُعطيه الوحي الرَّسمي مِن الله. يشهد الله لأنبيائه الحقيقيِّين ويُصَدِّق عليهم؛ وعلى سبيل المثال، عند معموديَّة يسوع انفتحت السماوات، والرُّوح القُدُس نزل على يسوع في هيئة حمامة، وسُمِع صوت الآب قائلًا: **«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»** (مت ٣: ١٧). وآخِر أنبياء العهد القديم يوحنا المعمدان أشار إلى يسوع وقال: **«هُوَ ذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ»** (يو ١: ٢٩). وهذا هو سبب تصوير يوحنا المعمدان على الأيقونات بجانب يسوع مُشيرًا بإصبعٍ ممدود إلى يسوع، مُعلِنًا أنَّ يسوع هو المسيَّا .

(٥) لا تُجرِّب الرَّبَّ إلهك:

في قصَّة تجربة الشَّيطان للسيِّد المسيح على الجبل (مت ٤: ١–١١)، تُقابلنا حقيقة تقول لنا الكثير عن كيف أنَّنا لا يمكننا أنْ نعرف الله عن طريق تجربته! في التَّجربة الثَّانية،

أَخَذَ إبليسُ الرَّبَّ يسوع إلى جناح الهيكل وقال له: **«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ»**. أجابه الرَّب يسوع وقال له: **«مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ»** (تث ٦: ١٦؛ مت ٤: ٧). هذا يعني أنَّه لا يجب علينا أنْ نتوقَّع أنَّ الله يُبرهن لنا عن نفسه. الله لا "يُجرَّب" مثلما نحن "نُجرِّب" المنتجات. لا يمكننا أنْ نأتي إلى معرفة الله مِن خلال عجرفة متعالية تهين الله بأنْ نحوِّله إلى شيء، ونضع ونفرض عليه تجارب معمليَّة، ونحن إذا عملنا هذا، فنحن نجعل مِن أنفسنا آلهة. عندما أقول: "لن أقْبَل أيَّ شخص إلهًا لا يمكنه أنْ يُثْبت ويُبَرهن نفسه لي"، فإنَّني أضع الله في تجربة. وفي الواقع، فأنا أُعْلِن وأُقرِّر أنَّني أنا إلهٌ. إنَّني أفعل هذا عندما أرفض الاعتراف بأيِّ شيء أنَّه حقيقيٌّ إنْ لم يمكنِّي أنْ أُجرِّبه وأفهمه.

الاختيار الحقيقي لمعرفة الله يأتي لا مِن الكبرياء، ولكن مِن الاتضاع، مِن المحبَّة، مِن الغفران، مِن الطَّاعة، مِن الصَّلاة، ومِن الإيمان بيسوع الذي أتى إلينا وهو الإله في جسدٍ بشريٍّ. لم يُلقِ يسوع نفسه مِن على جناح الهيكل، ولا نزل إلينا مِن على الصَّليب لنؤمِن به؛ ولكنَّه نزل إلى هاوية الموت، إلى الجحيم، ليُجدِّد حياة البعيدين ويرفعهم إلى السَّماء. هذه هي المعجزة الحقيقيَّة.

(٦) تفرُّد الرب يسوع:

كتب الأرشمندريت برناباس Archimandrite Barnabas يقول:

"كم نحن بعيدون عن التَّقليد والكتاب المقدَّس! هناك دلائل على أنَّ بعض الطَّوائف المسيحيَّة تقترب مِن نقطة الانهيار. لا يمكن لأحدٍ التنبُّؤ بما يمكن أنْ تكون عليه النهاية، لكنَّ العديد من الكُتَّاب يبذلون قصارى جهدهم للإسراع باليوم الذي تُعتَبَر فيه جميع الأديان ذات قيمةٍ متساوية، ويُنْظَر إلى المسيح على أنَّه واحدٌ بين العديد مِن الآلهة. لا يوجد دين آخر يُقدِّم هذا الادِّعاء المُذهل والعجيب، وهو أنَّ «... الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو ١: ١٤)**، وأنَّ المسيح هو «صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ»** (كو ١: ١٥)**. لا يمكن مساواة مثل هذه الادِّعاءات الهائلة والمُدْهشة ودمجها مع أيِّ إيمانٍ آخَر، ولكنَّها تتطلَّب منَّا أنْ نحوِّل الآخرين إلى هذا الإيمان مِن أجل أنْ ينالوا الخلاص. المسيح فريدٌ ولا يمكن لأيِّ مجمع آلهة أنْ يُجاريه".** **(يتبع)**

بحث تاريخي

أهم أديرة وكنائس القدِّيس أبي السيفين الأثريَّة في مصر

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

يُعتَبَر القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين من أشهر وأهم القدِّيسين والشهداء في تاريخ الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة. وكان جنديًّا في الجيش الروماني في القرن الرابع الميلادي، حيث استُشهد بعد اعتناقه الديانة المسيحيَّة. ويظهر القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين في الفنون القبطيَّة المختلفة، وبالأخص في زخرفة الأيقونات القبطيَّة، على هيئة قدِّيس فارس يمتطي جواده منتصرًا ليطعن تنينًا أو ثعبانًا أو إنسانًا مُنطرحًا على ظهره أسفل أقدام الجواد، ويمسك القدِّيس عادةً بسيفين في كلتا يديه المرفوعتَين إلى أعلى. وقد شُيِّدت له كثيرٌ من الأديرة والكنائس في أغلب محافظات مصر. ومن هذه الأديرة والكنائس القبطيَّة الهامة، نُشير إلى ما يلي:

١ – دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بطموه:

أشار كلٌّ من الشابشتي (القرن الـ ١٠م) وأبي المكارم (القرن الـ ١٢م) والمقريزي (القرن الـ ١٥م) إلى القدِّيس ببنودة الذي شيَّد دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بقرية طموه[١] في القرن الخامس الميلادي تقريبًا، حيث سكنه كثيرٌ من الآباء النُّسَّاك

(1) R. POCOCKE, *A Description of the East and some other Countries*, vol.1, London, 1743; F. NORDEN, *Voyage d'Égypte et de Nubie*, 3 vols., édition L. Langlès, Paris, 1795–1798; W.G., BROWNE, *Nouveau voyage dans l'Haute–Égypte*, Paris, 1800; E. AMELINEAU, *La géographie de l'Égypte à l'époque copte*, Paris, 1893; S. CLARKE, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, Oxford, 1912; S.Lane–Pool, *History of Egypt in the Middle Ages*, 3rd ed., London, 1924, p. 26; AL–SHABUSHTI, «Some Egyptian Monasteries», (ed.) A.S. ATIYA, *Bulletin de la soçiété d'archéologie copte* 5, 1939: 1–28; MOHAMED RAMZI, *'al–Qamus 'al–jughrafi li'l–bilad 'al–misriya*, 3 vols., Cairo, 1953–1968; YAQUT 'AL–HAMAWI, *Kitab mu^{c}jam 'al–buldan*, 10 vols., Cairo, 1956–1957; YAQUT 'AL–HAMAWI, *Jacut's geographisches Wörterbuch*, 6 vols., (ed.) F. WÜSTENFWELD, Leipzig, 1866–

الأوائل، نظرًا لوقوعه في محافظة الجيزة، ولقربه من نهر النيل، ولاعتدال المناخ في قرية طموه الموجود بها هذا الدير حتى الآن. ويؤكِّد المؤرِّخون كذلك أنَّ رهبان أديرة وادي النطرون كانوا يتردَّدون على هذا الدير للاحتماء فيه أثناء هجوم بدو الصحاري والبربر على أديرتهم في بريَّة شيهيت.

وفي ٦ أغسطس سنة ٧٥٠م، تهدَّم دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين في قرية طموه، وظلَّ مهجورًا لِمَا يقرب من عشرين عامًا، ثم أُعيد بناؤه ليظلَّ شامخًا حتى الوقت الراهن. وتُشير إحدى المخطوطات المحفوظة حاليًّا بالمتحف القبطي بالقاهرة، إلى أنَّ البابا يؤانس الثامن عشر (البطريرك القبطي رقم ١٠٧ / ١٧٦٩ – ١٧٩٦م)، عهد بنظارة دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بطموه للمعلِّم جرجس الجوهري في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي – أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تمَّ تجديد معظم مبانيه.

كما اعتاد البابا كيرلس الخامس (البطريرك القبطي رقم ١١٢ / ١٨٧٥–١٩٢٧م) التردُّد على هذا الدير الأثرى الهام على فتراتٍ متقطِّعة طوال العام، وذلك بحثًا عن الهدوء والراحة. وقد جدَّد قداسته عمارة دير الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بطموه سنة ١٩٠٣م، كما أضاف قصرًا وكنيسةً علوية به لرئيس الملائكة ميخائيل، ولكن تدهورت أحوال الدير بعد أن تنيَّح البابا كيرلس الخامس. وفي عام ١٩٥٠م، أحضر الأنبا يؤانس مطران الجيزة وقتئذ بعض العائلات المسيحيَّة البسيطة لتعمير دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين.

وفي فترة السبعينيات، جدَّد الراهب أغاثون – الذي أصبح فيما بعد أسقف الإسماعيلية – في عام ١٩٧٧م عمارة هذا الدير وألحق به بيت الخلوة. وفي سنة ١٩٨٩م، زار البابا شنودة الثالث دير الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بطموه بدعوة من الأنبا دوماديوس مطران

1873; Repr. Tehran, 1965; Beirut, 4 vols., 1955–1957; OTTO F.A. MEINARDUS, *Christian Egypt, Ancient and Modern*, Cairo, 1965; 2nd edition, 1977; ABU'L–MAKARIM: *Tārīkh ABU'L–MAKARIM. Tārīkh `al–Kanā'is wa'l–adyura fī `al–wagh `al–Baharī*, vol.1, Prepared by ANBA SAMUEL, Wādī Natrūn, 1984; S.J. MAURICE–MARTIN & R.–G., COQUIN «Dayr Abu al–Sayfayn (Tamwayh)», *Coptic Encyclopedia*, vol.3, (ed.) AZIZ S. ATIYA, New York, 1991, 711b–712b;

نبيه كامل داود وعادل فخري صادق، *"تاريخ المسيحيَّة والرهبنة وآثارهما في إيبارشية الجيزة"*، القاهرة، ٢٠١١، ص ٢١٩ – ٢٣٢.

الجيزة حينذاك. كما تشرَّف هذا الدير بزيارة البابا شنودة الثالث مرَّةً أخرى سنة ١٩٩٥م، حيث دشَّن مذبح الكنيسة الأثريَّة الرئيسي باسم القدِّيس مرقوريوس أبي السيفين، وكذلك المذبح الشمالي المُكرَّس للسيِّدة مريم العذراء، بالإضافة إلى المذبح الجنوبي المعروف باسم كلٍّ من القدِّيسَيْن الأنبا بيشوى والأنبا بولا الطموهي (**الشكل رقم** ١).

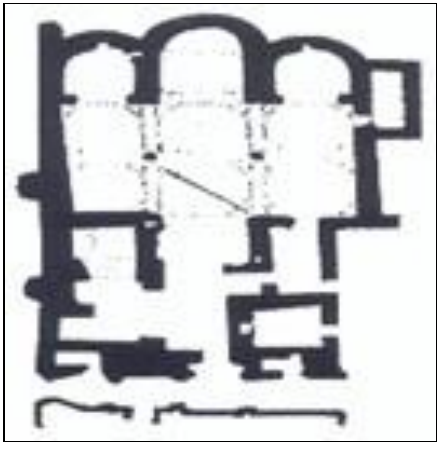

(الشكل رقم ١) التخطيط المعماري لكنيسة دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بطموه. نقلًا عن الأنبا صموئيل: *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١١٧.

وحاليًّا، يُحيط بالدير سورٌ خارجي كبير به المدخل الرئيسي الذي يؤدِّي إلى فناءٍ كبير وحديقة، يوجد بها الكنيسة الأثريَّة غير الأصليَّة، والتي ترجع إلى القرنين السابع عشر – الثامن عشر الميلاديَّين. وهي مثلها مثل كنائس أخرى ذات طراز الاثني عشرة قبَّة. وتتكوَّن من هيكل أوسط وآخر شمالي وثالث جنوبي، تمَّت توسعتهم بإضافة أنصاف قباب. وفي الناحية الجنوبية من الثلاثة هياكل الشرقية، توجد مقصورة للسيِّدة مريم العذراء. وفيما مضى، كان يوجد سرداب في هذه المقصورة، غير أنه لا يوجد له أيُّ أثرٍ الآن. وبالكنيسة بعض رفات القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين. كما عُثِر بداخلها على عدَّة أيقونات أثريَّة نادرة إلى جانب بعض المخطوطات الأثريَّة النادرة. ومُلحق بهذه الكنيسة بعض المباني الخدميَّة واستراحة للزوَّار، بالإضافة إلى قلاية رئيس الدير الحالي الأنبا صموئيل.

٢ – كنيسة ودير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بمصر القديمة:

شُيِّدت كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين في نهاية الشارع المواجه لجامع عمرو بن العاص في منطقة مجمع الأديان. وقد تعرَّضت لحريقٍ هائل أدَّى إلى تدميرها في القرن الثامن الميلادي. وفي عام ٩٧٥ – ٩٧٨م[٢]، أعاد الأنبا أبرام بن زرعة (البطريرك القبطي رقم٦٢/ ٩٧٥ – ٩٧٩م) تشييدها. وفي عام ١٠٨٠م، أَمَرَ الوزير الأرمني بدر الدين الجمالي أمير الجيوش الفاطمية بعقد اجتماع في هذه الكنيسة، حضره سبعة وأربعون أسقفًا لتحديد الشرائع الخاصة بالأقباط.

(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩١–٩٢.

وفي سنة ١١٧٥م، تعرَّضت الكنيسة من جديد للحريق. وفي سنة ١٣٠٠م، أصبحت مقرًّا لبطريرك الأقباط. وعلى مرِّ الفترات التاريخيَّة المختلفة، تغيَّرت عمارة كنيسة القدِّيس الشهيد مرقوريوس أبي السيفين. وتُعتَبَر الجدران الخارجيَّة وأعمدة وأكتاف الجناح الغربي الخلفي بها، هي أقدم أجزائها التاريخيَّة. وفي وقتٍ لاحق، أُضيفت للكنيسة أكتافٌ جديدة تعلوها أنصاف قباب تُغطِّي صحنها الأوسط. وتمَّت إضافة قبَّة فوق المذبح الرئيسي لها.

(الشكل رقم ٢) المغطس الكبير في الناحية الغربية بكنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بمصر القديمة. تصوير أ.د./ شيرين صادق.

(الشكل رقم ٣) الإنبل الرخامي الأثري بكنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بمصر القديمة. تصوير أ.د./ شيرين صادق.

وتُعتَبَر كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوبايتر مرقوريوس أبي السيفين من أكبر وأقدم الكنائس البازيليكية الأثريَّة القبطيَّة بمصر القديمة[٣]. ويوجد مدخلها الرئيسي في الواجهة الغربية. كما يتمُّ النزول إليها بعدَّة درجات من السلالم. ويؤدِّي المدخل إلى صالة مُستعرضة narthex، يوجد بها مغطس كبير الحجم **(الشكل رقم ٢)**. ومن هذه الصالة المُستعرضة نصل إلى الصحن الأوسط الكبير، وهو الأكثر اتِّساعًا، ويفصله عن كلٍّ من الصحن الجنوبي والآخر الشمالي صفَّان من الدُّعامات. ويوجد حوض اللقَّان مربع الشكل في الصحن الأوسط للكنيسة. كما إنَّ سقف هذا الصحن على شكل جمالون مُدبَّب في إشارة إلى فُلْك نوح. ويلي ذلك خورس الكنيسة، وبه إنبل تُزخرفه بلاطات من الفسيفساء الملونة، وهو يرتكز على خمسة عشر عمودًا **(الشكل رقم ٣)**.

---

(3) J.M. Vansleb, *Nouvelle relation en forme de journal d'un voyage fait en Égypte en 1672 et 1673*, Paris, 1677; A.J. Butler, *The Ancient Coptic Churches of Egypt*, Oxford, 1895, vol.1, pp. 75-76; P. Casanova, Essai de reconstitution topographique de la ville d'al-Foustat ou Misr, MIFAO 35, Le Caire, 1919, pp. 192-198; C. Coquin, *Les édifices chrétiens du Vieux-Caire*, vol.1, *Bibliographie et topographie historiques*, Bibliothèque d'études coptes 11, Le Caire, 1974, p. 34; Charalambia Coquin, "Dayr Abu Sayfayn (Old Cairo)", *CoptEnc*. vol.3, New York, (ed.) Aziz S. Attia, New York, 1991, 710a – 711a.

وتفصل الأحجبة الخشبية الثلاثة الخورس عن الثلاثة هياكل الشرقية للكنيسة. ويتكوَّن كلُّ حجاب من مجموعة من الحشوات المُجمَّعة والمُعشَّقة التى تتنوَّع زخارفها بين الزخارف الهندسية والرموز المسيحيَّة، وبالأخص الصلبان. كما إنَّ الحجاب الأوسط مُطعَّم ويعلوه مجموعة من الأيقونات النفيسة. ويعلو المذبح الرئيسي في الهيكل الأوسط ciborium قبَّة خشبية صغيرة ترتكز على أربعة أعمدة خشبية. والقبَّة مُزخرفة من الداخل ومن الخارج، وزخارفها كلها مُنفَّذة بالطلاء. ومن الداخل، يظهر النصف العلوي للسيِّد المسيح ضابط الكل داخل هالة المجد، وهو يمنح البركة بيده اليُمنى ويمسك الكتاب المُقدَّس بيده اليُسرى. وتُحيط به الأربعة مخلوقات المذكورة في سِفْر الرؤيا: الأسد – النسر – الثور – الإنسان، إلى جانب ظهور كلٍّ من الشمس والقمر وأسماء السيِّد المسيح المختصرة باللغة القبطيَّة. وفي تواشيح عقود القبَّة من الداخل، تظهر أربعة ملائكة مُجنَّحة وهي تحمل هالة مجد السيِّد المسيح. وجوانب هذه القبَّة من الخارج تظهر عليها أشكال آدمية لسمعان الشيخ ولبعض أنبياء العهد القديم مثل: زكريا الكاهن وموسى النبي، وكذلك شكل الشاروبيم. وتوجد أيضًا بعض الرسومات الجدارية على الحوائط الداخلية الشرقية للثلاثة هياكل كما يلى: على الحائط الشرقي بالهيكل الرئيسي، يظهر شكل السيِّد المسيح ويكتنفه من اليمين ومن اليسار الاثنا عشر تلميذًا **(الشكل رقم ٤).** وعلى الحائط الشرقي للهيكل الجنوبي المُخصَّص للقدِّيس يوحنا المعمدان، تظهر أشكال آدمية لقدِّيسين مختلفين، بالإضافة إلى ظهور السيِّد المسيح ضابط الكل وهو جالسٌ على العرش. وعلى الحائط الشرقي للهيكل الشمالي المُكرَّس للسيِّدة مريم العذراء، تظهر الزخارف الهندسية والنباتية.

(الشكل رقم ٤) رسومات لأشكال السيِّد المسيح والاثني عشر تلميذًا على الحائط الشرقي في الهيكل الرئيسي بكنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بمصر القديمة. تصوير أ. د. شيرين صادق.

(يتبع)

لماذا أنا لستُ مُلحِدًا؟![١]

دايفيد ج راندال

هذا الكتاب يُقدِّم عشرة أشخاص يُمثِّلون مجموعة مختلفة من عدَّة مجالات مِهنيَّة. فمنهم عالِم الأحياء، والطبيب النفسي، والصحفي، والقسيس ... الخ. كلٌّ منهم يُجادِل بشكلٍ مُقنع: لماذا هو ليس مُلحدًا؟ لماذا هو مسيحي؟ وقد اخترنا من بين هؤلاء العشرة، هذا الطبيب الذي بنى قناعته الإيمانيَّة المسيحيَّة، من حياته وخبراته المهنيَّة، وتعامُله مع نوعيَّات مختلفة من البشر.

يبدأ الكاتب شهادته ويقتبس من كلمات تيريزا الأفيلية: "إذا كان لديك الله، فما الذي تفتقر إليه؟ وإذا كنتَ تفتقر إلى الله، فماذا لديك"؟! يذكر الكاتب عِدَّة أسباب لكونه غير مُلحد:

١ – الإلحاد لا يُشبع أعمق احتياجات الإنسان، مِمَّا يجعله مُحبط وجوديًّا:

أحد كبار المُلحدين طلب أنْ يُكتب على قبره: "غير سعيد بالمرة"، لقد أقرَّ في نهاية حياته في مواجهته الموت، أنَّ فلسفته الإلحادية لم تنجح في أنْ تُلبِّي أعمق احتياجاته.

يسأل جميع البشر بعض الأسئلة الأساسيَّة التي تُشكِّل إجاباتها أساس وجودهم. إنَّها الأعمدة التي تَدْعَم صحتهم الوجودية والعاطفية، والتي تُعطي معنًى للحياة، وتوفِّر لهم السعادة والسلام.

يشعر الناس بالسعادة عندما يكون لحياتهم معنى، ويشعرون بالتعاسة عندما يتعيَّن عليهم الاعتراف: "لا أعرف ما الذي أفعله هنا؛ حياتي فارغة وعبثيَّة"!

لقد وجد هذا الطبيب، من واقع خبرته الشخصيَّة وتعامُله مع الناس، أنَّ أكثر الأسئلة إلحاحًا هي: ١. من أنا؟ [الحاجة إلى الهويَّة]. ما هي الحياة؟ ٢. لماذا أنا هنا؟ [الحاجة إلى الغرض]. ٣. ماذا ينتظرني بعد الموت؟ إلى أين أذهب؟ [الحاجة إلى الرجاء]. عندما نُفكِّر بصدق في الحياة والموت خارج إطار فكرة وجود الله، فإنَّ الإحباط والفراغ والعبثيَّة، هم النتيجة الأكثر ترجيحًا.

لا يوجد شيء يملأ فراغ حياتنا سوى الله. لا العمل ولا الدراسة ولا المُتعة ولا الثروات قادرة على توفير المعنى المُطلق للوجود. كلُّ هذه الأشياء قد تُخفِّف مِنَ العطش للمعنى؛ ولكنَّها، في الحقيقة، مجرد "مُسكِّنات وجودية" تعمل فقط على تهدئة التوعُّك لفترة، وبمجرد انتهاء

(١) الكتاب يقع في ٢٣٢ صفحة من القَطْع الصغير، صَدَرَ عن دار الثقافة، طبعة أولى: سنة ٢٠٢١م.

تأثيرها، يظهر الإحباط والشعور بالفراغ مرَّةً أخرى وبقوةٍ أكبر.

يقول الكاتب: [بصفتي طبيبًا نفسيًّا، فقد رأيتُ الفرق الكبير في الطريقة التي يواجه بها المؤمنون وغير المؤمنين الموت. فالأوَّلون يُقابلونه بهدوءٍ وسلام، بينما الذين لا يؤمنون يكونون في قلقٍ وانزعاج شديدَيْن]. يقول "جان بول سارتر"، وهو واحدٌ من أكبر المُلحدين في كتابه الأشهر: "غثيان" (Nausea): [الغثيان لم يُفارقني، ولا أعتقد أنَّه سيُفارقني قريبًا. أنا هو الغثيان بعينه].

إنَّ الرجاء هو الترياق الذي لا غِنًى عنه لعلاج الإحباط، هو بمثابة الأكسجين للرئتين. فبدونه نموت من الاختناق. بدون الرجاء نموت ونُعاني من آثار اليأس الخانقة بمذاقه الفارغ، ومن عبثيَّة الحياة.

إنَّ لدى الإنسان احتياجاتٍ وأشواقًا في أعماق كيانه تتجاوز ما هو مادي وما هو زائل، إنَّه عطشٌ للأبديَّة، عطشٌ إلى السموِّ الذي لا يرويه أي غِنًى أرضي. يمكن كتم هذه الاحتياجات أو إخفائها، ويمكن قمعها، لكنها لا تلبث إلَّا أنْ تثور مرَّةً تلو الأخرى. عبَّر عن ذلك الكاتب الإنجليزي سي إس لويس (الذي كان مُلحدًا شرسًا في البداية) وقال: [عندما أجد أنَّ لديَّ رغبةً لا يمكن لأيِّ شيء في العالم أنْ يُرضيها ويُشبعها، أُفكِّر أنَّ التفسير الأكثر ترجيحًا هو أنَّني أنتمي لعالمٍ آخر].

٢ – الإلحاد يجعل من الإنسان إلهًا:

الإلحاد يضع الإنسان في مكانة الله. فإذا لم يكن الله موجودًا، سيكون الإنسان هو الله. إنَّ فكرة موت الله لم تكن وليدة نيتشة، بل تعود إلى أصول الجنس البشري: «تَكُونَانِ كَاللهِ» (تك ٣: ٥). كانت الرغبة في التحوُّل إلى "إلهٍ صغير" هو إغراء لا يُقاوَم طوال التاريخ البشري. الإلحاد يؤلِّه الإنسان، لأنَّه يُزيح الله ويضع الإنسان في المركز. فهو في جوهره نظام مُتمحور حول الذات.

إذا كان الله غير موجود، فأنا حُرٌّ؛ لا يمكن لأحدهم أنْ يُملي عليَّ الطريقة التي ينبغي أنْ أعيش بها. وبالتالي لن يُحاسبني أيُّ شخص. أنا قاضي ومُرشد نفسي، وبالتالي هناك اكتفاء ذاتي أخلاقي. وهكذا فإنَّ الفواصل بين الحقِّ والخطإ، والجيِّد والسيِّء، أصبحت باهتة تمامًا لأنَّها ذاتية.

إنَّ التمحور حول الذات عادةً ما يسير جنبًا إلى جنب مع النرجسيَّة، أي الحبُّ المُنصبُّ على الذات. وهذا ما نراه الآن في مجتمعاتنا، حيث: «النَّاس يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ» (٢تي ٣: ٢).

وأخيرًا، أعترف: أنا لستُ مُلحدًا، لأن إله الكتاب المقدَّس الشخصي قد أسرني.

لقد صرتُ مسيحيًّا، لأنني تعرَّفتُ على إلهٍ جذبني بطريقةٍ لا تُقاوم. اكتشفتُ أنَّ الله لم يُجبرني أنْ أومن؛ بل وَضَعَ داخلي الرغبة في معرفته وحبِّه. إلهي هو النقيض تمامًا من الإله الذي يرفضه المُلحدون. إنَّه إله محبة لا خوف. ليس إلهًا قمعيًّا ولا مُستبدًّا؛ بل إله الحريَّة الكريمة. إنه إلهٌ قريبٌ مني، يُسرُّ أن يُدعَى "أبًا".

- **الكتاب المقدَّس الورقي يتفوَّق على الكتاب الرقمي رغم الزمان.**
- **التبشير في غابات الأمازون.**

⁂ ✣ ⁂

الكتاب المقدَّس الورقي يتفوَّق على الكتاب الرقمي رغم الزمان:

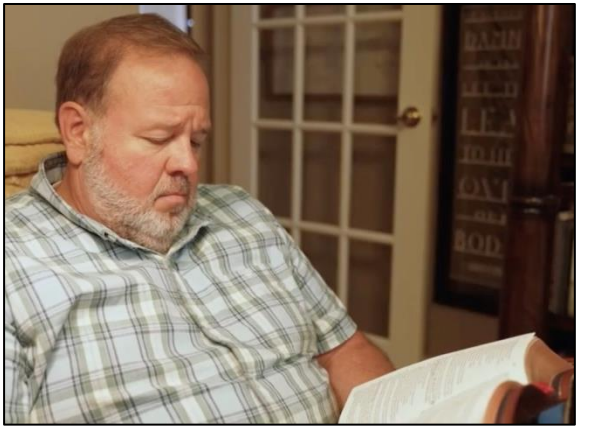

ديفيد دانكين يُذكِّر أحباءه عندما كانت النُّسخة الورقية تُلازِم كلًّا منهم على مدى العمر، وبالأخص نُسخة KING JAMES، وخاصةً أُمه التي تركت لمساتها وتعليقاتها على هوامش الكتاب، وأيضًا خربشات طفولته؛ كلُّ هذه ما زالت باقية. ولا زالت نُسخة جدِّه التي كان يستخدمها باقية معه، وفيها أيضًا ست عشرة عظة بخطِّ يده داخل الكتاب كمُلاحظات.

ولأن تلك النُّسخ لها ذكريات وعَبَق خاص، توجد دور نشر صغيرة تقوم بإعادة تجليد وإحياء تلك النُّسخ. وبهذا فهي ليست فقط مجرد رسائل إليه من الربِّ نفسه، لكن هي ذكريات تؤكِّد تواصُل الأجيال في محبوبٍ كلَّمه الله. كلُّ هذا على الرغم من توافُر النُّسخ الرقمية على أيِّ جهاز هاتف محمول بكلِّ سهولة، بحيث إنَّ المؤمنين تحت عمر ٦٠ عامًا يستقون نصف قراءاتهم في الكتاب من النُّسخ الرقمية. لكن النُّسخ الورقية تُساعد على الفهم والتأمُّل من ٦ – ٨ مرات أكثر من النُّسخ الرقمية. ولذلك فهي ليست فقط هدية السماء للبشر، ولكن هي أيضًا أنسب هدية للأجيال من جيلٍ إلى جيل.

(عن: CWN)

التبشير في غابات الأمازون:

ليست غابات الأمازون مكانًا غنيًّا إيكولوجيًّا وبحسب التنوُّع البيئي فقط، لكن نهر الأمازون يُمثِّل وسيلةً لربط أنشطة الحياة اليومية في مجتمعٍ تندر فيه صور الحضارة الحديثة، ووسائل النقل المُريحة التي يألفها العصر الحديث. فـ "راموس Ramos" ذو الـ ٨٦ عامًا يرفض التخلّي عن منزله الخشبي على ضفاف النهر إلى الحياة السهلة المُريحة في المدن. فحوالي ٣٠ مليون أمازوني يعيشون في منطقة شمال البرازيل الأمازونية؛ وفي ذات الوقت، تنتعش المنطقة بنهضةٍ مسيحية عارمة. وتلعب روافد النهر دورًا حيويًّا في إيصال البشارة للأماكن النائية، حيث تعيش قبائل بدائية لا تعرف يمينها من شمالها، وترزح في عاداتٍ وثنية وجهلٍ مُطبِق عن ما هية الإله الحقيقي مُحبِّ البشر.

يقول Jose Bangestone راعي كنيسة تبشيرية، مُتذكِّرًا البدايات الصعبة لمهمة التبشير: "قليلٌ من الفَعَلَة مع حصادٍ كثير، كان عليهم غالبًا أن يسيروا مسافة ١٥ ميلًا فقط للوصول إلى قرى وتجمُّعات سُكَّانية نائية، والآن لكلِّ كنيسة قارب صغير للتنقُّل عَبْر القرى لافتقاد الأُسَر والبحث عن الحملان الضالة. ولاسم الربِّ كل المجد، يوجد الآن حوالي ٣٢٠٠ كنيسة تنتشر في غابات الأمازون".

(عن: CWN)

Father Matta El-Meskeen

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

Dear reader, the Gospel of St John has been a source of meditations for many church fathers and scholars. Here, Father Matta reflects on famous quotes from John 17, the prayer Christ Jesus uttered before His crucifixion. Enjoy!
Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 50

"And this is eternal life, that they may know You, the only true God, and Jesus Christ whom You have sent" (John 17:3).

CHRIST DECIDES IN HIS FINAL PRAYER that the knowledge of the Father and the Son is the reality of eternal life. Moreover, that faith in the Father and the Son is the ascending path that prepares the man of God for entrance to eternal life which is the summation of the whole Bible. The knowledge of the Father and the Son comes about through open-mindedness, which is the main asset of the righteous Christian, and it is fulfilled through the light of the word of the gospel and the enlightenment of the Holy Spirit of God. True knowledge of the Father and the Son is based on the essence of love, since Christ states, "I have declared to them Your name, and will declare *it*, that the love with which You loved Me may be in them, and I in them."[1] He said this verse of live revelation, as the final thing He uncovered from the mystery of love and knowledge!!!

For knowledge and love are twins from God. The former leads to the latter, and the latter to the former, with the two being a heavenly inheritance we inherited from the mouth of Christ and from His Holy Spirit. It is obvious that the knowledge of the name of the Father cracked the code of faith, the knowledge of the name of Christ is what opened to us the door to the Way, the Truth and the Life. Thus the two became the inheritance of man by the grace of God. So, who would know Christ and not love Him? Rather, who would know the name of the Father and not reach the ultimate love of the Father and the Son?

[1] John 17:26.

We are taken by the love of the Father and the Son, and we do not own of the world anything but that affection. For the world will pass away, and with that passes away everyone who loved the world and wasted his life for it. As for us, we renounced the world and loved the Father and the Son with a silent affection that burns in our core, which we kept from the world until the Father and the Son reveal it in heaven. For the reader to trust in what we say, let him focus his sight and open the eyes of his heart, and read what Jesus Himself wrote: "I have declared to them Your name, and will declare *it,* that the love with which You loved Me may be in them, and I in them." Here, Christ adds another of His hidden mysteries when He says, "that the love with which You loved Me may be in them, **and I in them.**" For it is impossible for the love of the Father to be present without the presence of Christ. For the presence of the love of the Father signifies His presence, that is the presence of the Father, and the presence of the Father is impossible to happen without the presence of Christ.

Therefore, it is not knowledge of a name belonging to the Father and the Son, rather it is their true presence. This means that knowledge and love are the pledge of being! Thus, the knowledge of the Father's name that Christ seeks is in and of itself the revelation of His being; for it is not like the knowledge of the things of the world. Rather, the knowledge of the Father and the Son signifies their presence and essentially their revelation. For knowledge in its essence is revelation of a truth.

Hence why Christ affirmed that He is the Truth and the Life, since truth is a revelation and life is a presence. He who believes in Christ has attained His presence and His life, and has sprung with Christ's life that is in him to eternal life that is for Him.

Christ was right when He said, "And this is eternal life, that they may know You, the only true God, and Jesus Christ whom You have sent." Here, Christ joins together "**the knowledge of the Father and the Son,**" so that it becomes the eternal life.

This is true because eternal life is the life of the Father and the Son, before the ages for Scripture states about Christ being "the Alpha and the Omega."[2] The Father and the Son are one in the divine essence that does not separate. So the Father sent the Son to the world to acquaint the world with the Father. Christ always says, "He who has seen Me has seen the Father,"[3]and that "I and *My* Father are one."[4] Thus, Christ's fundamental duty was the revelation of the Father to the world, that the Father may be glorified by the Son. The Father also

[2] Revelation 22:13.
[3] John 14:9.
[4] John 10:30.

glorified the Son, "I have both glorified and will glorify again,"[5] which was the answer of the Father to Christ who said, "O Father, glorify Me together with Yourself, with the glory which I had with You before the world was."[6]

O, the joy of the one who has become a partaker in the glory of Christ and the Father, since he has been worthy of eternal life with God!

December 28, 2005

---

[5] John 12:28.
[6] John 17:5.

Chapter 51
"I have finished the work which You have given Me to do" (John 17:4).

O, what a great and blessed mission, the greatest mission that God has set after the first creation of heaven and earth, which the devil wrought havoc on, spoilt, enslaved man and humiliated him.

The first work that Christ did in His mission was that He wrestled with the devil during the temptation on the mountain, which was a preamble to triumphing over him on the cross. Thus, the devil vanished from the world and Christ started revealing the kingdom of heaven and the great new life to man. Christ started the new covenant by the sermon on the mountain, which is in the beginning of the gospel of Saint Matthew the apostle, and which came as the new constitution for man's new life. After that, He started expounding to man his new life's manner, which the Bible contains, be it within the four gospels, or in all the epistles that He inspired to each apostle by his name after He confirmed them with His Holy Spirit.

The life of Christ was entirely work. His mouth did not cease from enlivening words with which He filled the whole of man's heart and mind. He gradually revealed the mystery of God who is in Him, and the mystery of the Father who sent Him. Thus, it was a life that filled all of life, before which neither prophet nor teacher carried to us what Christ did. Neither, the greatest works of all of the previous prophets and teachers, would even hardly point only to Him who would come after them—that is Christ, the one who would cover all of man's life, his heart and mind, and enlighten before him the way of eternal life, which was shut since Adam until the coming of the Lord.

The core of Christ's work that He finished was the revelation of the essence of the Father. As the book of Hebrews says, when he wanted to adorn the core qualities of Christ, that He is the One "whom [God] has appointed heir of all

things, through whom also He made the worlds; who being the brightness of His glory and the express image of His person, and upholding all things by the word of His power, when He had by Himself purged our sins, sat down at the right hand of the Majesty on high."[7] This is the most accurate summary in the Bible about who Christ is, and what His work was on earth.

Christ opened a new covenant for man that no longer stands on a law, but rather stands on the foundation of the work of the Father that He carried through Christ, which Christ fulfilled. He presented the end of His work as follows: "I have finished the work which You have given Me to do."[8]

The first creation of the heavens and the earth dwindles and wanes before this work of the Father which He fulfilled by Christ and in Christ. The hero of the first creation (Adam) fell from his status and descended to the rock bottom of the earth, escorted by the wrath of God, with Eve his companion. Then began the new covenant, and in reality, it was God's new covenant with man. The first to be revealed in it was the Son of God Himself, sent by the heavenly Father to save man by redeeming his life, and to lead the new man who was created anew "according to God,"[9] carrying God's true image and His magnificent love that bequeathed to him glory.

O, what a work that was, which the Father gave to the Son, who finished it to the fullest. Christ offered it through the offering of man to the Father, that man may receive from the Father the great reconciliation which generations after generations lived for, yearning this hour.

The price of reconciliation of man with God the Father was the blood of the Son on the cross. He interceded for sinners and earned for them victory over the world, abolition of the effect of sin and death of death. Christ rose from the redemptive death to the resurrection of glory, carrying in His resurrected body the forgiven man to reconcile with the Father. Heaven and eternal life opened before man, and also was opened the door which had been shut in the face of Adam, and Cherubim stood guarding the way to the kingdom with a sword of fire, whom Christ put away, becoming Himself the Way to the kingdom, carrying the truth and the life. O, the joy of man who had spent thousands of years, unhappy, weeping, seeking forgiveness, and redemption, wherefore came the One who forgave him, redeemed him, and restored him to the bosom of God, following an enmity and estrangement that lasted the span of time.

December 28, 2

[7] Hebrews 1:2, 3.
[8] John 17:4.
[9] Ephesians 4:24.

The Samaritan Woman fervent in spirit

Christ said at one time: "He who does not take up his cross and follow me is not worthy of me." And again: "I have come to cast fire upon the earth, and what will I but that it be kindled? By both these sayings He wish to portray to us a fervent disciple, on fire with zeal and prepared to risk any danger. Such a one was this woman. In fact, so much was so kindled by His words that she left behind her water-jar […], and running into the city drew all the people to Jesus. For she said: 'Come and see a man who has told me all what I have ever done' […]. She has come to draw water, but when she had attained to the fountain of Truth, she then scorned the one perceptible only to bodily senses. […] As far as she could, she herself did as the Apostles had done"; nay, with even more alacrity than they, for they left their nets after being called, while she of her own accord, with no summons, left her water-jar, and did the work of an evangelist with excited elation as a result of her joy.

Commentary on St John, Hom 34, FC 33, 1957, p. 331, 2.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Ἰωάννου τοῦ Χρυσοστόμου

Ὁ Χριστός φησι, νῦν μέν· Ἐὰν μή τις ἄρῃ τὸν σταυρὸν αὐτοῦ καὶ ἀκολουθήσῃ μοι, οὐκ ἔστι μου ἄξιος· νῦν δὲ, Πῦρ ἦλθον βαλεῖν ἐπὶ τὴν γῆν καὶ τί ἤθελον εἰ ἤδη ἀνήφθη; δι᾽ἀμφοτέρων τούτων τὸν διακαῆ καὶ πεπυρωμένον μαθητὴν καὶ πρὸς πάντα κίνδυνον παρεσκευασμένον ἡμῖν παραστῆσαι βουλόμενος. Τοιαύτη τις ἦν καὶ αὕτη ἡ γυνή. Οὕτω γὰρ ὑπὸ τῶν εἰρημένων ἀνήφθη, ὡς καὶ τὴν ὑδρίαν ἀφεῖναι […], καὶ δραμοῦσαν εἰς τὴν πόλιν, πάντα τὸν δῆμον ἑλκύσαι πρὸς τὸν Ἰησοῦν. Δεῦτε γὰρ, φησὶ, καὶ ἴδετε ἄνθρωπον, ὃς εἶπέ μοι πάντα ὅσα ἐποίησα […]. Ἦλθεν ὑδρεύσασθαι· καὶ ἐπειδὴ τῆς ἀληθινῆς πηγῆς ἐπέτυχε, κατεφρόνησε λοιπὸν τῆς αἰσθητῆς, […]. Κατὰ γὰρ τὴν ἰδίαν δύναμιν, ὅπερ οἱ ἀπόστολοι ἐποίησαν, καὶ αὕτη πεποίηκε μειζόνως. Ἐκεῖνοι μὲν γὰρ οἱ κληθέντες ἀφῆκαν τὰ δίκτυα· αὕτη δὲ αὐτομάτως, οὐδενὸς παραγγείλαντος, ἀφίησι τὴν ὑδρίαν καὶ εὐαγγελιστῶν ἔργον ποιεῖ ὑπὸ τῆς χαρᾶς ἀναπτερωθεῖσα.

PG 59, 193.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 110.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2025 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG